## الباب السادس

**واقع المسلمين الآن:**

**إذا نظرنا إلى واقع المسلمين الآن، وجدنا أنه واقع مرّ أليم :ذلك أنّ حياة أغلب المسلمين إحدى صورتين:**

**إما حياة انحلال، وإما حياة بدع، وهذا يشمل الشذوذ الفكري ، والخلقي ، والعقائدي ، والسلوكي:**

**-1أما حياة الانحلال:**

**فتبدو في كثير من المسلمين الذين يُحصَوْنَ زورًا ضمن المسلمين، ذلك أن هؤلاء يكتفون بأنهم مسلمون بالوراثة وبشهادات الميلاد .لقد جهلوا الإسلام فعادَوْهُ، والإنسان دائمًا عدو ما جهل، فانتهز أعداء الإسلام هذه الفرصة واستحوذوا عليهم وغزَوْهم غزوًا فكريًا مخططًا، فغلَّفُوا لهم مبادئ الإلحاد بغلاف رقيق براق - سرعان ما يكشفه المؤمن الموحد المتفرس - وزينوا هذا الغلاف وزخرفوه، حتى انطلي على هذه المجموعة الجاهلة - وخاصة على الشباب الجاهل غير الواعي - فتقبلت قلوبهم الفارغة تلك المبادئ المدمرة، فوقعوا**

فريسة لها ولأصحابها ، فكانت كالسم الذي يسري في الجسم، إن لم يتدارك أمره ويُحضر في مكانه سرى في الجسم كله فقضى عليه، لأن هذا السم سريع التسرب فتاك قاتل، تكون ضحيته تلك البنات الشابة التي نترقب انطلاقها ، وحركتها الإصلاحية، وتوليها الأمر عن قريب.

ولو أن هؤلاء قد استقرت العقيدة الصحيحة في قلوبهم، لما وجدت مبادئ الإلحاد فيها محلًا، لأن الموحد يلفظ قلبه كل مبدأ إلحادي انحلالي، إذ إن هذا المبدأ يعني الانسلاخ من العقيدة ومن كل القيم الدينية

ومهمة المصلحين :أن يحاصروا هذه السموم الفتاكة في أماكنها، ويحاولوا استخراجها من مواضعها بمشارط الحق حتى تصفي منها دماء الشباب.

إن أصحاب المبادئ الهدامة لا يدعون المسلمين إلى الكفر صراحة ، وإنما يثبتون أفكارهم بين فئة من المنتسبين إلى الإسلام، فيقنعونهم بتعديل مناهجهم، وتكوين أنديتهم ، وتشكيل منظماتهم، على نهج تطوري تقدمي، وفي أثناء إجراء هذا التشكيل وذلك التعديل، وبطرق ملتوية يلجأ إليها أعداء الإسلام إلى إدخال مبادئ الإلحاد، والتحلل من الدين شيئًا فشيئًا،بالتشكيك في أمور العقيدة ومسائل الدين، حتى تهون على تلك الفئة أمر دينهم، وتأخذهم بالشكليات التي لا تسمن ولا تغني من

جوع، فإذا ما تركوا الجوهر، سهل على أعداء الإسلام أن يملأوا قلوبهم وأفكارهم بما يريدون من فساد وانحراف وزيغ وضلال، ومن ثم وجدنا كثيرًا من شبابنا يسير إلى الهاوية تلقائيًا وهو لا يعي.

وينبغي على المصلحين أن ينتبهوا إلى هذا الغزو الفكري المدمر الذي يقلب حياة المسلمين إلى حياة إلحادية تناقض الإسلام، وذلك بأن يهتم هؤلاء المصلحون بالعقيدة الصحيحة، غرسها في قلوب المسلمين خاصة الشباب.

وإن تلك الفئة التي جرت وراء الملحدين، انحلت بلا شك كذلك من شريعة الله فاستحسنت النظم الوضعية بحجة أنها تتمشى مع تطور العصر ، وتغير الأحداث، وطروء وقائع جديدة لم تكن موجودة من قبل، فآثرت هذه النظم على شرع الله تعالى، وأفتى لهم بحلّ ذلك الأئمة المضلون.

وهؤلاء الأئمة يجرون الناس بأقوالهم وأفعالهم إلى التحاكم إلى الطاغوت، وقد حكم الله على أولئك الذين يتحاكمون إلى الطاغوت بالكفر والظلم والفسق، فقال تعالى:( وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) ]سورة المائدة.[44 :وقال:( وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) ]سورة المائدة.[45 : وقال تعالى:( وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) ]سورة المائدة.[47 :واستنكر تعالى

لجوْهم إلى الطاغوت ورضاهم بحكمه فقال تعالى:( أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ) ]سورة المائدة.[50 :

وكشف الله تعالى حقيقتهم التي يحاولون دائمًا أن يسدلوا النقاب عليها، فقال تعالى:( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا )] سورة النساء.[63 - 60 :

كذلك انحدرت هذه الفئة الغافلة مستهترة بشرع الله، فتركت مجموعةٌ كبيرةٌ منهم نساءهم كاسياتٍ عارياتٍ، تقليدًا أعمى لأعداء الإسلام، وتركتْهُنَّ يختلِطْنَ بالرجال، فكنَّ فتنةً كبيرة لهم، ومَلأنَ قلبوهم شهوة وضلالًا، وأفْسَدْنَ أعمالهم، وأدَيْنَ إلى شر كبيرٍ، مَلأنَ أرجاء البلاد.

والسبب في ذلك القوانين الوضعية التي شرعتها هذه الفئات الجاهلة وحكّمتها في شئون حياتها، وأعرضت عن شريعة الله تبارك وتعالى، فلم

تصلح بتلك القوانين حياتها، وإنما أفسدتْ بها جوانِبَهَا، وعاشت عيشة ضنك وهوان.

مثال ذلك :القانون الذي يَحْكُمُ جريمة الزنى، فإنه لا يقرر عقوبة على طرفي الجريمة ما دام قد تم التراضي بينهما .ومن ثم فإن الطرفين حين يتوفر بينهما الرضا على ارتكاب جريمتهما، فإنهما يرتكبانها في أمن تام دون أن تنال العقوبة أيًا منهما.

ولا يعاقب القانون إلا في حالة الإكراه، وحالة الخيانة الزوجية .أما في حالة الإكراه فإن من أَكْرَهَ أُنثى على إتيانها بغير رضاها عوقب عقوبة السجن لفترة محدودة.

وأما حالة الخيانة الزوجية :فإن الزوج الذي يرتكب جريمة الزنى في داخل بيت الزوجية يُعَاقبُ على خيانته الزوجية، لا على ارتكابه جريمة الزنى في بيت الزوجية، أما إذا ارتكب أحدهما جريمة الزنى خارج بيت الزوجية، فلا يناله عقاب القانون.

ورغم ذلك فإن للزوج حق العفو عن زوجته، التي خانته في بيت الزوجية إذا قدمها إلى المحاكمة، في أي مرحلة من مراحل الدعوى، وحتى بعد الحكم عليها ودخولها السجن، فتخرج منه معززة مكرمة كذلك للزوجة حق العفو عن زوجها، الذي خانها في بيت الزوجية

إذا قدمته إلى المحاكمة في أي مرحلة من مراحل الدعوى، وحتى بعد الحكم عليه، ودخوله السجن، فيخرج منه معززًا مكرمًا.

وهكذا يعيش الزاني مع الزانية - وصدق الله العظيم القائل:( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) [سورة النور.[3 :

ولو أن هؤلاء قد فهموا العقيدة الصحيحة، واستقرت في قلوبهم، لراقبوا الله سبحانه وتعالى في كل حَرَكَةٍ وَسَكَنَةٍ، ولكنهم راقبوا القانون، إنهم خافوا من القانون الذي وضعه البشر، وخاف الزوج من الزوجة، وخافت الزوجة من الزوج، وحرص كل منهما على أن لا يراه الآخر وهو يرتكب جريمة الزنى، ولم يخف أحد منهما من الله رب العالمين، لأن قلبه قد خلا من العقيدة الصحيحة التي تُبَصِّرُهُ بحدود الله جل وعلا، وتُوقِفه يقينًا عند كل حدّ منها، فَهَامَ كل منهما على وجهه، وانجرف مع تيارات الإلحاد والانحلال، ودمَّرَ كلَّ القيم الدينية.

وهكذا الشأن في القوانين التي تحكم الجرائم الأخرى من قتل ، وردة ، وسرقة، وقذف، وقطع طريق، وسُكْرٍ وغير ذلك، فكلها عُطِّلَ فيها حكم الله،وأُعْمِلَ فيها حُكْمُ الشياطين الذين ( شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّين مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ) ]سورة الشورى.[21 :

-2وأما حياة البدع:

فتظهر واضحة بين أغلبية المسلمين على وجه الأرض، فقد استهانوا بأمر البدع، وقالوا :هذه بدعة حسنة، وهذه بدعة خفيفة، وهذه بدعة لا تؤثر كثيرًا في أصل الدين، وما إلى ذلك من التعللات السخيفة، حتى تجمعت بدعٌ وبدعٌ، وصار دينُهم بدَعًا، وعاشوا حياتهم على البدع، وصاروا لا يفهمون الدين إلا أنه هذه البدع.

ومن ثم أصبحوا لا يميزون بين الحق والباطل، ولا يفرقون بين الطيِّب والخبيث، وإنما لُبسَ عليهم الأمرُ وخُلِطَ عليهم، لأنهم فقدوا فُرْقانَ المؤمنين الذي أشار إليه الله جل وعلا في قوله:( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ) ]سورة الأنفال.[29 :

والذي تستقر في قلبه العقيدةُ الصحيحةُ يجعل الله تعالى في قلبه فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل، ويستطيع أن يحس إحساسًا مُرْهَفًا أن هذا الحق، وأن هذا باطل، مما استقر في قلبه من عقيدة التوحيد.

ولذلك فإن من فضل الله تبارك وتعالى ونعمته على الموحدين أنهم يستطيعون أن يكشفوا الشخص الخُرافِي في دقائق، فيعرفونه بسيماه، ويعرفونه في لحن القول.

ومن ثم فإن العقيدة الصحيحة مهمةٌ جدًا لكل مسلم، إذ ينشأ عنها كل إصلاح وخير .وإذا نظرنا إلى العلماء اليوم، وجدنا أن أكثرهم قد هَانَ عليهم أمر العقيدة، فركوها، ولم يرشدوا الناس إليها، واعتبروا أن دعوة

الناس إليها ينفرهم، ويفرِّق جمعهم، لذلك يلجأون إلى غيرها من أمور الدين التي ينبغي أن تُبنَى على العقيدة بزعم أنهم يهدفون إلى جمع الناس أيًّا كانت عقائدهم، فإذا تم جمعهم وتكون مجتمع إسلامي منهم، بدأوا يصححون عقائدهم.

وهذا اتجاه غير سليم، لأننا عرفنا بما سبق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أرسل معاذًا إلى اليمن أمره أن يبدأ دعوته بالتوحيد، فإن استجاب القوم له، أمرهم بعد ذلك بالتكاليف التي تُبنَى على العقيدة ومن أولها الصلاة.

ومن ثم فإن الذين لا يبدأون دعواتهم بالعقيدة، لا يكون لدعواتهم أثر عظيم في الإصلاح، لأن المهم في الإصلاح أن يصلح ما استقر في القلب أولًا، فإذا لم يصلح ما استقر فيه، فسدت جميع الأعمال كما يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم" :- ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب."

والحقيقة التي لمستُها في زياراتي للمسلمين في بلاد العالم المختلفة من المشرق إلى المغرب، هي أن الدعاة الذين لا يحملون العقيدة الصحيحة ولا يدعون المسلمين إليها، لا أثر لدعواتهم يذكر، بل إن الذين يدينون منهم بدين الصوفية قد لَبَّسُوا على المسلمين وخلطوا عليهم أمور

دينهم، وأفسدوا عليهم عقيدتهم، حتى أصبح المسلمون في حالة يحزن لها قلب المسلم الحق.

إنني أذكر أنه لما ابتعثني الجامعة الإسلامية - بالمدينة المنورة حين كنت أستاذًا بها - إلى غيانا بأمريكا الجنوبية عام ١٣٩٤هـ كان أول سؤال سُئِلتُهُ) ما رأيك عن الصوفية؟ (ووجدتُ أن أكثر المسلمين هناك يقتنون كتب بعض الصوفية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية مثل طبقات الشعراني، وحياة الجيلاني، ويعكفون على قراءتها، ويتركون كتاب الله، فمثل هذه الكتب أفسدت قلوب المسلمين وعقيدتهم، وبَلْبَلَتْ عليهم عقولهم، ولهذا ينبغي أن نلفت عنها المسلمين خاصة الشباب، الذين يَطْلُبُ منهم الإسلامُ أن يملأوا قلوبهم أولًا بالعقيدة الصحيحة .كي تصحُ أعمالهم الصالحة التي تُبنَى عليها.

إن الشباب إذا ملأت قلوبهم العقيدةُ الصحيحةُ اطمأننا عليهم، فمهما ألقينا بهم في أي مكان، كانت العقيدة الصحيحة سياجًا منيعًا تدفع أيَّ مبدأ انحلالي هدام يحاول التسرب إلى قلوبهم، فلا تجد المبادئ المدمرة موضعًا في قلوب الشباب تحيا فيه.

إن هؤلاء الذين تركوا أمر العقيدة، واستهانوا بشأنها، يعبدون الله على حرف كما قال تعالى:( وَمِنَ النَّاس مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ

خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ) [سورة الحج.[11 :

ومن أمثلة تهوين شأن العقيدة ما يزعمه الصوفية من أن المسلم إذا سلك طريقهم، وسار على دربهم، بلغ درجة معينة، يسقط عنه فيها التكليف، ويصلون إلى مرحلة الكشف والمشاهدة، بمعنى أن الله تعالى يكشف لهم اللوح المحفوظ، فيقرأون فيه ما كان وما سيكون، ويرون الله رأي العين في الحياة الدنيا، ومن ثم يمكن أن يكلموه وكلمهم مباشرة، ويأخذوا العلم عنه سبحانه دون واسطة بما أطلقوا عليه (العلم اللدني(، وما إلى ذلك من ضلالهم، وتحديهم للنصوص القاطعة في الكتاب والسنة .فضلًا عن ذلك فإنهم يخدعون المسلمين بما يزعمون أنهم أولياء تحدق لهم خوارق يكرمهم بها الله تعالى، مثل الطير في الهواء، والسير على الماء، ويدعون الأولياء والصالحين من الأحياء، ومن الأموات الذين يعكفون على قبورهم ويطلبون منهم قضاء الحاجات إنهم يخدعون المسلمين بذلك ويأتون من الأعمال التي تعتمد على كثير من الشعوذة والدجل، ما ينخدع به أولئك الذين خلت قلوبهم من عقيدة التوحيد.

وإنني لتجولي بين المسلمين في أغلب بلاد العالم، قد وجدتُ - بما أُقدِّر - أن ما يقارب ثلاثة أرباع المسلمين يدينون بالتصوف، ويتخذونه نهج

حياة أَبْعَدَهُمْ عن نهج الإسلام الحق الذي أرسى مبادئه على منبعيه الصافيين :الكتاب والسنة.

وليس يهم في الإسلام الكم، بل إن الكيف هو الذي يعوِّل عليه الإسلام .يقول تعالى:( إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ) ]سورة الأنفال.[65 :

ويقول جل ذكره:( فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ) ]سورة الأنفال.[66 :

ولما أخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه أن الأمم سوف تتداعى عليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، سألوه" :أَمِنْ قِلَّةٍ نحنُ يومئذٍ؟ "قال لهم" :لا إنكم يومئذٍ كثير، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاء السيل."

ولو أننا نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم، لوجدناهم حقًا غثاء كغثاء السيل، لا شخصية لهم بين أمم العالم، التي ـ مع أغلبيتها الكافرة الملحدة ـ بلغت شأوًا عظيمًا في التطور والحضارة المادية، بما لم يبلغ منها المسلمون شيئًا يذكر.

والذي يجول في بلاد الشرق والغرب على سواء يلمس حقيقة هذه الحضارة وذلك التطور في وضوح لدى أعداء الإسلام، كما يلمس أن المسلمين في هذا المجال ـ في مؤخرة ركب الأمم، فلم يصلوا إلى كسب

الدنيا ولا كسب الآخرة، وعاشوا هكذا فعلًا غثاء كغثاء السيل، وإذا بحثنا عن سبب ذلك وجدناه تركهم للأساس الأول الذي تُبنى عليه كلّ الأعمال، ذلك هو العقيدة الصحيحة التي ينبغي أن تمتلئ بها القلوب، ولذلك تحركت أجسامهم حركات فاسدة، فأنتجت نتائج فاسدة، وكانت كل أقوالهم وأعمالهم مخالفة لأمر الله تبارك وتعالى، وأصبحت حياتهم حياة غفلة، واستحكم الهوى في القلوب، فاستمتعوا بملذات الحياة، ولم تعد الدنيا عندهم سوى ما قال قائلهم: إنما الدنيا طعامٌ وشرابٌ ومنام فإذا فاتَكَ هذا فعلى الدنيا السَّلام

وعاشوا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام .وصاروا كما قال تعالى :( أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ) ]سورة الأعراف.[179 :

والدليل على الغفلة الشاملة التي طغت على أكثر المسلمين أنهم مجدوا وقدسوا كتبًا لا تستحق إلا أن تحرق وتباد لما حوته من كفريات وشركيات طمست معالم الإسلام، منها كتاب إحياء علوم الدين للغزالي الذي سمي صاحبه) حجة الإسلام(، فقد أورد فيه مؤلفه أشياء منكرة، لا يقبلها عقل مسلم فضلًا عن موحد، من هذه الأشياء ما ذكره في الجزء الرابع صفحة ٣٥٨ بقوله" :حكي أن شاهدًا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد البسطامي، فقال يومًا :أنا منذ

ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم ولا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئًا، وأصدق به وأحبه، فقال أبو يزيد :ولو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة؟ - قال :ولم؟ قال :لأنك محجوب بنفسك . قال :فلهذا دواء؟ قال :نعم، قال :قل لي حتى أعمله .قال :لا تقبله .قال :فاذكره لي حتى أعمل .قال :اذهب الآن إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك، وانزع هذا اللباس، واتزر بعباءة، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزًا، واجمع الصبيان حولك، وقل :كل من صفعني صفعة أعطيه جوزة، وادخل السوق، وطف بالأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك، وأنت على ذلك، فقال الرجل :سبحان الله، تقول مثل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك سبحان الله شرك. قال: وكيف؟، قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك. فقال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره، فقال: ابتدئ بهذا قبل كل شيء، فقال: لا أطيقه، قال: قد قلت لك إنك لا تقبل."

ومع هذه الحكاية التي يسوقها الغزالي في كتابه التي لا يقبلها عقل، يعلق عليها بقوله) فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو جزاء من اعتل بنظره إلى نفسه(، ولا ينكر منها شيئًا.

ومن هذه الكتب المضللة كذلك كتابا الفتوحات الربانية، وفصوص الحكم لمحي الدين بن عربي، الذي ضمنها عقيدة وحدة الوجود التي تعني أنه لا موجود في الكون إلا الله، فعبر عن ذلك بقوله:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهبٌ في كنيسته

وبقوله:

العبدُ ربٌ والربُّ عبد يا ليت شِعْري من المكلف؟
إن قلت عبدٌ فذاك ربٌّ وإن قلت ربٌّ أنَّي يكلف؟

وبقوله:

فوقتًا يكون العبدُ ربًا بلا شك ووقتًا يكون العبد عبدًا بلا إفك
فإن كان عبدًا كان بالحق واسعًا وإن كان ربًّا كان في عيشة ضنك

هذا فضلًا عن تشويه ابن عربي حقائق الإسلام، فيسوي بين الجنة والنار في قوله:

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم
على لذة فيها نعيمٌ مباينُ
نعيمُ جنان الخلد فالأمر واحد
وبينهما عند التجلي تباينُ
يسمى عذابًا من عُذُوبةِ طعْمِهِ
وذاكَ له كالقشر والقشرُ صاينُ

**وإذا اختلطت المعاني هكذا عند ابن عربي وغيره، وكان الرب والعبد سواءًا، والجنة والنار سواءًا، فلماذا كانت الرسالات؟ ولماذا أُرسِلَ الرسلُ؟**

**ولماذا جاهد رسول الله ص ثلاثًا وعشرين سنة؟ ولماذا كانت الغزوات؟ ولماذا كان هذا الجهد والتعب؟ ولماذا كانت العبادات؟ ولماذا كان الثواب والعقاب؟ ولماذا كانت الجنة والنار؟**

**بهذه الأفكار الضالة، والاتجاهات الزائغة المنحرفة تضيع معالم الإسلام ، وتشوه مبادئه عند المسلمين، ويجد أعداء الإسلام منها ثغرات يدخلون منها للطعن على الإسلام، وإظهاره بمظهر الدين المتخلف الذي لا يجدي في هذه الحياة فتيلًا.**

**هذا الذي ذكرته شيء قليل جدًا من الكثير ، الذي حوته تلك الكتب الخبيثة التي يتفطر قلبي منها، ويذوب مما حملته من كفر صريح، الأمر الذي يجعل المسلمين في حيرة ، ويؤكد أنهم في أمس الحاجة، وأشد التلهف إلى من يشرح لهم الإسلام، ويعرضه عليهم عرضًا سليمًا.**

**إن معظم العلماء سكتوا عن هذا الأمر، وأنا أتساءل :لماذا يتملكهم هذا الخوف وهم يزعمون أنهم دعاة إلى دين الله؟ إن الله تعالى يصف دعاته**

المخلصين حقًا فيقول:( الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ) ]سورة الأحزاب.[39 :

لماذا لا يخشى أولئك الصادقون الموحدون أحدًا إلا الله؟ لأن العقيدة الصحيحة استقرت في قلوبهم، فلم يندفعوا إلى أي عمل - ومن ذلك الدعوة إلى الله تبارك وتعالى - إلا بما يوافق شرع الله عز وجل.

ولما سكت معظم العلماء عن البدع والخرافات التي استشرى شررها، وانتشر فسادها بصورة خطيرة جدًا، وأصبح المسلمين في حالة يُرْثى لها.

إن أعداء الإسلام ينتهزون مثل هذه الفرص، وكثيرًا ما انتهزوها - فركزوا جهودهم للاستيلاء على بلاد المسلمين، وتمزيق بلادهم ، والتفريق بينهم، حتى جعلوا المسلمين - كما نرى - فرقًا تسير حسب أهوائهم، وتحرك حسب مصالحهم، فاستسلم المسلمون لواقعهم ، فأصبحوا صورًا باهتة هزيلة لا كيان لها ولا أثر لها في ركب المجتمع العالمي.

ورغم هذا الهون الذي عم أغلبية المسلمين، فإن قلة منهم لا تزال في كل عصر تقوم على الحق مستمسكة به داعية إليه، هي التي عناها رسول الله ص بقوله : لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم

من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى] .أخرجه الإمام مسلم عن ثوبان.[

وقد بيّن لنا الرسول ص مدى الافتراق الذي سيصيب الأمم المختلفة فقال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة - قالوا وما هي يا رسول الله؟ قال :هي التي على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي معنى ذلك أن الفرقة التي تتمسك بالكتاب والسنة وتدعو إليهما هي الفرقة الناجية، يأخذون منهما عقيدتهم، فيبثوا عليها بعد ذلك كل أمورهم، وإذا صحت العقيدة، تحرك الجسم إلى كل ما رضي الله تعالى، وإذا فسدت العقيدة، تحرك الجسم إلى كل ما يسخط الله عز وجل.

ومن ثم فقدت أوامر الله تعالى في البيت الذي فقدت فيه العقيدة الصحيحة، فتجد الأسر التي تدعي الإسلام - منهارة، فالمرأة لا تخاف الله عز وجل، ولا تحسب له حسابًا، فإذا خرج زوجها إلى عمله، خرجت بعده دون علمه إلى حيث تهوى، وإلى حيث تهوي، والأبناء لا يخافون الله تعالى، فانكبوا على المنكرات، واستمتعوا بالشهوات، وساروا كقطعان الأغنام إلى حيث لا يعلمون.

والمجتمع كذلك - وهو مكون من مجموعة أسر - قد فقد - ككل - الخوف من الله تعالى، وبهذا لا يرى في أغلب أحوال المسلمين - إلا أفرادًا منهارين، وأسرًا منهارة، ومجتمعًا منهارًا.

ولا يمكن أن يتحول حالنا، وتصلح أمورنا، ويتغير مجتمعنا، ولا يمكن أن نرى الطبيب المسلم الحق المخلص في علاجه، ولا المهندس الحق المخلص في تخطيطه وتصميمه، ولا المدرس المسلم الحق المخلص في تدريسه، ونصح أبنائه، ولا الموظف المسلم الحق المخلص في وظيفته، ولا الرئيس المسلم الحق المخلص العادل في رئاسته، ولا أي عامل مسلم حق الإسلام في المجتمع الإسلامي يتقن عمله ويخلص فيه، ويراقب الله تعالى في كل خطوة يخطوها وكل سكنةٍ يسكنها إلا إذا أسست أولًا في قلبه العقيدة الصحيحة.

وبدون تأسيس هذه العقيدة الصحيحة في القلوب، فإنه من المستحيل أن يوجد فرد مسلم حقيقي، ولا أسرة مسلمة حقيقية، ولا مجتمع مسلم حقيقي، ومن قرر غير ذلك، فإنما يقرر زيفًا وزورًا.

وعلى ذلك نرى أن العقيدة الصحيحة لها أثر عظيم، ولولا هذا الأثر، ما أنزل الله بها الكتب، وما أرسل بها الرسل وجعلها بداية دعواتهم بأن يقولوا لأقوامهم :( اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ) ]سورة الأعراف :59[ .لذلك ينبغي على كل مسلم أن يهتم عظيمًا جدًا بالعقيدة، ولا

يتصور أن أمر العقيدة أمر هين لا يستحق الاهتمام - ذلك أن المسلم لا يمكن أن يندفع إلى أي عبادة فتصح وتقبل عند الله إلا إذا أسست على العقيدة الصحيحة.

فمثلًا :لا يمكن أن يجاهد المسلم في سبيل الله فيصح ويقبل جهاده إلا إذا استقرت في قلبه العقيدة الصحيحة - عقيدة التوحيد - حتى يعرف لمن يجاهد.

فإذا جهل لمن يجاهد، فلمن يجاهد؟ أيجاهد للحديد والنحاس والخشب والحجر والشجر؟ أم يجاهد للموتى؟ أم يجاهد للطواغيت من البشر؟ لابد أن يجاهد لرب يعرفه، لرب يشعر أنه رب، وأنه عبد، لابد أن يجاهد لرب يعرفُ ويؤمن أنه الخالق ، البارئ ، المصور، الرازق ، المحي ، المميت ، المعطي، المانع، المدبر، لأمر هذا الكون كله، الذي تَسَمَّى بجميع الأسماء الحسنى، واتصف بكل الصفات العليا وأنه لا ينبغي أن يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا له سبحانه وتعالى .يجب إذن على المسلم أن يجاهد في سبيل رب يعرفه، إذ من العار العظيم جدًا أن يجاهد في سبيل إله يجهله.

وهكذا كل العبادات لابد أن يوجهها المسلم إلى إله يعرفه ويؤمن به، وتملأ قلبه عقيدة توحيده في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته.

ومن ثم إذا أردنا أن نقيم دولة إسلامية تسودها الفضيلة، وتظللها العدالة، ويسيطر عليها الأمن، ويتآخى فيها أفرادها ويتحابون، وتختفي فيها الجرائم بأنواعها، فإنه ينبغي أن تقيمها على أساس العقيدة الصحيحة، فينطلق منها كل خير وإصلاح، ذلك بأن العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد - هي المنطلق لكل إصلاح.

أسباب سقوط الأمم والحضارات

لا يوجد لدى أية أمة أغلى من نظام انذار مبكر يكون بمثابة صمام أمان لحضارتها وكنوزهافالاحتياط للكوارث قبل وقوعها قد يمنع حدوثها أو على أقل تقدير يجعل التعامل معها أكثر فاعلية ونجاحاويقلل من خسائرها المفجعة للبلاد والعبادوالعقل يقرر أن الأمم العظمى لا يجب أن تستخسر مالا أو جهدا أو وقتا يستثمر فى نظام انذارى يحمى منجزاتها من السقوط سواء كان ذلك على مستوى القدرات العسكرية أو الوقاية من أضرار الكوارث الطبيعية أو فى مجال الصحة العامة للمواطنين على سبيل المثالفما بالنا اذا كان هذا النظام للانذار يكشف كل مكامن الضعف البشرى سواء على مستوى الفرد أو المجتمع وهى المكامن التى أدت الى تتابع سقوط الأمم وانحدار الحضارات على مر التاريخ وحتى يوم القيامة وما بالنا اذا كان هذا النظام ليس بضمان شركات عالمية لها سمعة مدوية فى مجالها أو حواسب آلية ترصد بدقة كل الاحتمالات وتعد

لها عدتها ولكن بضمان فاطر السماوات والأرض وخالق الكون بكل سننه عز وجل يتكون أى نظام انذار مبكر من آليتين محددتين للعمليستوى فى هذا الرادار مع أنظمة الانذار ضد تسونامى وأجهزة الكشف المبكر ضد التشوهات الخلقية فى الأجنة أو حتى أجهزة الانذار ضد السرقة والحريق فى المنازل والسيارات الآلية الأولى هى التعرف على مصدر الخطر مبكرا ثم الآلية الثانية ألا وهى اتخاذ الاجراء اللازم للحماية منه تعالوا معا نتعرف على النظام الكونى للانذار المبكر من سقوط الأمم وانهيار الحضارات بضمان اله واحد فطر هذا الكون من عدم وجعل له سننا لا يخلفها منذ بدء الخليقة وحتى يوم القيامة

الصراع على المال والسلطة

فلنبدأ بتأمل معانى هذا الحديث الذى رواه عمر بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بالجزية فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر فلما صلى الرسول أنصرف الناس فلقيهم النبي وابتسم وقال اظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قد أتى بالجزية من البحرين قالوا أجل يا رسول الله قال ابشروا بما يسركم فوا الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت لمن كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم أما الشح فهو شدة حب المال وجمعه

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم : (إياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا ) رواه أبو دواود ماذا عن هذا الحديث الصحيح الذى نعرفه جميعا وقد رواه ثوبان:(توشك الأمم أن تتداعى عليكم، كما تتداعى الآكلة إلى قصعتها، فقال قائل : ومن قلة بنا نحن يومئذ؟! قال :بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قال قائل : يا رسول الله ! وما الوهن ؟ ! قال : حب الدنيا، وكراهية الموت) ان هذه الأحاديث الأربعة التى رويت عمن لا ينطق عن الهوى تدور حول معنى محدد هو:الهلاك نتيجة المطامع الدنيوية والتنازع عليهاان الاسلام لا يحرم السعى للمال والسلطةبل على العكس يحض على الكسب الحلال والحكم بالحق وآيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة غنية بمعان راقية عن فضل الامام العادل والحث على الاجتهاد فى طلب الرزق ويحكى لنا التاريخ عن أكثر من صحابى كانوا من أثرى الأثرياء بمقاييس عصرنا الحاضرالنقطة الفاصلة التى تدور حولها الأحاديث هى أن يصل حب المال والسلطة الى الحب الجمكما يقول

سبحانه وتعالى فى سورة الفجر: (وتحبون المال حبا جما) لأن الحب الجم هو الذى يصل الى درجة الصراع ولا يصل هذا الحب الى درجة الصراع الا اذا كان الهدف الأول للانسان فى الحياة قبل الآخرة وقبل القيم الانسانية وقبل مصالح المجتمع لذلك ورد عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى الدعاء:ألا (تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا)والاهلاك الذى تتناوله الأحاديث ليس اهلاكا أخرويا فحسب بل هو قطعا اهلاك دنيوى للجماعة بأسرها بدليل الحديث الأخير الذى يحذر من تداعى الأمم والوهن وضياع هيبة الأمة والتاريخ ليس بمعزل عن هذا الاهلاكفمن الحضارة اليونانية للرومانية للدولة العباسية للأيوبية للمماليك وأوروبا فى العصور الوسطى والحديثة أيضاكم من دول أكلت فيها الحروب التوسعية الأخضر واليابس وكم من حضارات زالت بسبب صراع حكامها على السلطة وكم من شعوب أهدرت طاقاتها فى انقلابات ونهب للمال العام وفساد بشهادة الحاضر قبل التاريخ!

الظلم

من سنن الله فى الكون اهلاك الأمة بظلمها وقد جاء في بيان هذه السنة آيات كثيرة في كتاب الله منها :فقطع دابر القوم الذين ظلموا ،وقوله تعالى : هل يهلك إلا القوم الظالمون،وقوله تعالى : ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلمواوكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا

بعدها قوماً آخرين وكلنا نحفظ عن ظهر قلب الحديث الصحيح المشهور جدا عندما سرقت امرأة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقال:(أتكلمني في حد من حدود الله؟) قال أسامة : استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيبا، فأثنى على الله بما هو أهله،ثم قال:(أما بعد،فإنما أهلك الناس قبلكم : أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه،وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ) ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت وأيضا فى هذه الحالةالمقصود بالاهلاك هو الاهلاك الدنيوى بالاضافة الى الاهلاك الأخرىفقد قال عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه أبو داود:ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصحابه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم نتوقف هاهنا عند نقطة هامة جدا ففى السقوط الدنيوى لا تتعلق سنة الله بايمان وكفر أو اسلام والحاد أو صلاح وفسوق فالرسول عليه الصلاة والسلام فى حديث المرأة التى كلمه فيها أسامة يتحدث الى أمة مسلمة مؤمنة ولكن جهاز الشريعة الالهية الانذارى يحذر من أنه لا فارق فى هذه السنة بين

المسلمين المؤمنين وغيرهمس يقضى على حضارتهم الظلم فى حد ذاته حتى لو التزموا بكل الفرائض والسنن الأخرىوالدليل الآخر على ذلك هو حديث أبى هريرة:دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه ولهذا بقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وأمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق ، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل : إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام ، وذلك أن العدل نظام كل شيء ، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت ، وإن لم يكن لصحابها من خلاق – أي في الآخرة – وإن لم تقم بالعدل لم تقم ، وإن كان لصحابها من الإيمان ما يجزي به في الآخرة لهذا لا نستغرب تتابع سقوط الحضارات الواحدة تلو الأخرى عند تفشى المظالم فيها ولم تستثنى الأمة الاسلامية من هذه السنة عندما انتشر فيها البغى فى العهود العثمانية والمملوكيةكذلك لا يدهشنا اليوم علو أمم فى الغرب وانتصارها بالعدل بين رعاياها وانحدار أمم فى الشرق بالظلم والقهر والقمع والطبقية والتفرقة بين المواطنين على قدر ثرائهم وسطوتهم وجاههم ومناصبهم

الفساد

قال سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم:(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) كما قال تعالى:(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) وفي قراءه بالتشديد للميم أمّرناوها هي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها تسأل النبي صلى الله عليه وسلم :(أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث)وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سَلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما كان في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتحروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم )) صحيح الألبانيوقال أيضا:(ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل) صحيح الجامع سلسلة من الانذارات المتتالية المتشابكةمع تحديد واضح ومحدد للعواقب المنتظرة بحكم القوانين الالهيةوكل عاقبة منهم فى حد ذاتها كفيلة بالقضاء على أعتى الدول العظمى وأقوى الامبراطورياتوعالم اليوم بكل فساده وظهور

**تلك العواقب بين شعوبه خير شاهد على صدق الأمين عليه أفضل الصلوات والتسليم**

**السلبية**

**فى سورة المائدة نقرأ:(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)وفى حديث أشرف الخلق الصحيح يقول:(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا)ويقول أيضا:(ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمَهم الله بعقاب من عنده) ويعلق الغزالي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو النهج الذي إبتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس مقصورا على جماعة تزجر الناس فى الشوارع وتدفعهم**

للصلاة بالعصىان كل ما من شأنه اصلاح المجتمع وتغيير الباطل وارساء دعائم الحق يدخل فى اطار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكروهو مسئولية كل مواطنسواء اتخذت هذه المهمة شكلا تقليديا أو شكلا مطورا فى اطار جمعيات أهلية ومنظمات للمجتمع المدنىونحن نرى هذه الجمعيات والمنظمات فى الدول الغربية تقوم بأدوار حيوية للحفاظ على قيم هذه المجتمعات والدفاع عن حقوق كل المخلوقات التى تعيش بين ظهرانيهافهى بمثابة الروح للشعوب هناك وبدونها تهلك هذه الدول كما تهلك أمة أراد الله لها الخيرية بهذه الفضيلة وحدها:(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ولكنها أضاعتها فضاعت بين الأمم

التشدد فى الدين

قال صلى الله عليه وسلم (هلك المتنطعون) وقال أيضا:(إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)وفى ذات يوم قام في الناس، فقال : كتب عليكم الحج ! فقام رجل من الأعراب، فقال : أفي كل عام ؟ قال : فغلق كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت واستغضب ، فمكث طويلا، ثم تكلم فقال : من السائل؟ فقال الأعرابي : أنا ذا، فقال : ويحك ماذا يؤمنك أن أقول : نعم، ولو قلت : نعم لوجبت، ولو وجبت لكفرتم ! ألا إنه إنما أهلك الذين قبلكم أئمة الحرج، والله لو

أني أحللت لكم جميع ما في الأرض، وحرمت عليكم منها موضع خف لوقعتم فيه قال : فأنزل الله تعالى عند ذلك:(يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم ) اذا كان التشدد فى الدين والتنطع فيه من أسباب الهلاك ألا ترون معى فى أشكال التدين المنتشرة الآن بين المسلمين ما ينذر بعواقب وخيمة؟ !!

ذوبان الهوية الدينية

بالاضافة الى العديد من الآيات القرآنية التى تحذر من التخلى عن الهوية الدينية وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام عن الابتلاءات الخمس المذكور أعلاهومن هذه الابتلاءات نقض حكم الله ورسوله وعدم الحكم بكتاب اللهأحب هاهنا أن أستشهد من جديد بالمقولة الخالدة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: اننا كنا أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزنا الله بالاسلام فان ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله وهذه المقولة فى الواقع ليست مقصورة على الأمة الاسلامية التى فقدت بالفعل معظم ما تملك عندما تنازلت تدريجيا عن العمل بدينهافالتاريخ والواقع والنظريات العلمية أيضا (وأهمها فى هذا المجال نظرية أرنولد توينبى عن التحدى والاستجابة بالاضافة الى نظريات ابن خلدون ومالك بن نبى) تؤكد أن الحضارات دائما ما تنهار اذا ذابت الهوية الدينية التى قامت عليها

(بصرف النظر عن ماهية تلك الهوية) فالحضارة الفرعونية التى قامت على الوثنية بدأت فى الانهيار مع حركة التوحيد التى قادها أخناتون وما تلاها من اضطراباتوالحضارة الرومانية التى قامت أيضا على لبكفر بدأت فى التدهور عندما انتشرت فيها المسيحيةثم زاد التدهور عندما اعتنقت المسيحية واندثرت تماما عندما انقسمت الى كنيستين احداهما شرقية والاخرى غربية يبدو جليا هنا أن عقائد الشعوب لها دور محورى فى دفعها للنهضة وتأسيس المدنيات وعندما تختل هذه العقيدة وتضطرب يحدث الانحدار الحضارى حتى ولو كان هذا التحول فى العقيدة للأفضل الفرقة

هذا العامل هو آخر العوامل المهلكة للأمم والجماعات وهو ليس الا عاقبة متوقعة للصراعات الانسانيةوفى الحديث الذى رواه ابن مسعود:(إنما هلك أو أهلك من كان قبلكم بالاختلاف ) وهو حديث مصداق للآية الكريمة:( ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)والمقصود هنا بالطبع ليس الخلاف فى الرأى بشكل صحى وهو ما شجع عليه الاسلام على الدوام ولا يوجد ادل على ذلك من وجود المذاهب الأربعةولكن المقصود هو الخلاف الهدام الذى يعطل الانجاز وبعوق التقدمفمرحبا بكل خلاف طالما أنه سيسفر عن توسعة على الناس ودعم للأفكار ومشورة لا غنى عنهاولا أهلا ولا سهلا للخلاف

الذى يسفر عن استكبار وضغائن ونزاع وغياب للحوار وتغييب لصوت العقل يعود بالأمم سنينا للوراء

وبعد فتلك هى المهلكات السبع التى عمل عليها النظام الالهى للانذار المبكر منذ خمسة عشر قرنا من الزمان ولو كنا قد أخذناها مأخذ الجد ما كان حالنا قد آل الى ما أل اليه ولكننا اتبعنا الأمم الأخرى فحق علينا المصير الذى حق عليهم بحكم السنن الكونية وفقدنا خيريتنا وميزة التمتع بما لم يتمتعوا به من أفضال غيبية ولو محصنا التاريخ قديمه وجديده تمحيصا ما وجدنا عاملا هادما للأمم ولا عنصرا قاضيا على الحضارات فى غير هذه المهلكات وكما يقول الشيخ محمد الغزالى رحمة الله عليهفان الانهيار دوما يبدأ من الداخل بتقويض الأمم وحضاراتها داخليا ولا تكون الهزيمة العسكرية الا نهاية المطاف والقشة التى تقصم ظهر البعيرفالضعف العسكرى ليس الا نتيجة وعاقبة لكل الانهيارات الداخلية لنحلم كما نشاء بعودة الأمجاد ولنتمنى كما نريد بعثا حضاريا ولنخطط على أكمل وجه ولنعمل قدر طاقتنا على رفعة بلادنا ولكن بدون أن نضع نصب أعيننا هذا النظام الالهى للانذار المبكرلا يوجد بصيص ضوء فى آخر النفق

**عوامل انهيار الحضارات والأمم**

**إنّ سقوط الحضارات وانهيارها وهلاك الأمم وذهابها له أسبابه وعوامله المنسجمة مع سنن الله تعالى ونواميسه، والهلاك نوعان، الأول: هلاك الأخذ والاستئصال، وقد توقف وانتهى ببعثة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى :وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين سورة الأنبياء: ١٠٧، والثاني: هلاك الهزيمة والانهيار والضياع، وهذا النوع سنة باقية على الأمم حتى قيام الساعة ومن خلال دراسة تاريخ الأمم السابقة التي ذهبت إلى غير رجعة، وباستقراء آيات القرآن الكريم يتبين أن هلاك الأمم وسقوط الحضارات يرجع في الجملة إلى الأسباب التالية-:**

**-1الكفر بالله تعالى ورسله: قال تعالى :كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب الأنفال: ٥٢ وبعد أن أخبر الله تعالى عن إهلاك قوم سبأ قال عز وجل : ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور سبأ: ١٧**

**-2التكذيب لهدى الرسل: قال تعالى :ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذاباً أليماً وعاداً وثموداً وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً**

**الفرقان: ٣٥-٣٨ وقال تعالى :قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين آل عمران: ١٣٧**

**-3الظلم: قال تعالى :ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا يونس: ١٣ وقال تعالى :فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة الحج: ٤٥**

**-4الفساد في الأرض: قال تعالى :ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملأه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين الأعراف: ١٠٣**

**-5الاستكبار في الأرض: قال تعالى عن فرعون وجنوده: واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين القصص: ٣٩-**

**-6انتشار الرذائل وفساد الأخلاق: قال تعالى عن هلاك قوم لوط :ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ثم بين الله تعالى هلاكهم فقال :وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين الأعراف: ٨٠-٨٤**

**-7استفحال الذنوب والمعاصي والفسق: قال تعالى :ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم**

وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين الأنعام: ٦ وقال تعالى: أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وأثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق غافر: ٢١ وقال تعالى في هلاك قوم ثمود :فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها الشمس: ١٤-١٥ وقال تعالى :وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناهم تدميراً الإسراء: ١٦ وقال تعالى: وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا يونس: ٣٣

-8التمرد على أوامر الله تعالى والاستهزاء بها وعدم القيام بواجب النعمة والفضل الإلهي: قال تعالى :وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا الطلاق: ٨-٩ وقال تعالى :فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الأنعام: ٤٤-٤٥

وبتطبيق عوامل الانهيار والهلاك للأمم السابقة على الحضارة المادية الشيوعية والحضارة الغربية المعاصرة يتضح لنا بجلاء أنّه قد أحاطت بهاتين الحضارتين كلّ العوامل السابقة من كل جانب، من الكفر والتكذيب

والتمرد على شرائع الله تعالى وهدى رسله، واستفحلت فيها الذنوب والمعاصي والآثام، وانغمست في مستنقعات الشهوات والرذائل، وبلغت من القوة المادية شأناً عظيماً

وإذا كانت الحضارة الشيوعية قد سقطت وهوت نظرية وتطبيقا ودولة عظمى، فإن الحضارة الغربية الرأسمالية تنتظر أيضا الهاوية والهلاك والسقوط تنتظر أن تجري فيها سنن الله تعالى التي جرت في الأمم البائدة قال تعالى :سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً الأحزاب: ٦٢، وعندها لن ينفع العلم ولا التقدم المادي أصحابها كما لم ينفع السابقين الهالكين قال تعالى:أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون غافر: ٨٣ وقال تعالى :أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم لكن كانوا أنفسهم يظلمونالروم: ٩

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: ولقد ذهب علماء الحضارات، كثمرة لاستقرائهم التاريخ البشري، وصفحات السقوط والنهوض، إلى أن الحضارة، أية حضارة، تمر بمراحل ثلاث، هي-:

*المرحلة الأولى :هي مرحلة الفكرة، مرحلة الإيمان بالهدف، الذي يملأ على الإنسان نفسه، ويشكل له هاجساً دائماً، وقلقاً سوياً، ويدفعه للعطاء غير المتناهي،و التضحية في سبيل ذلك، بكل شيء، بما يمكن أن يعتبر أن من أهم سمات هذه المرحلة: بروز إنسان الواجب، الذي لا يرى إلا ما عليه، ويقبل على فعله بوازع داخلي، بإيمان، واحتساب، دون أن يخامر عقله، ماله من حقوق، هو إنسان واجب، إنسان إنتاج، وليس إنسان حق فقط، إنسان استهلاك،وقد يكون من المفيد هنا، أن نذكّر بحديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي وصف مرحلة الوهن الحضاري، والإشراف على السقوط، وحدد معادلتها، عندما سئل عن الوهن، الذي يصيب الأمة قال: حب الدنيا ( رواه أحمد ٢٧٨/٥): (ظهور إنسان الغريزة-إنسان الاستهلاك)، (وكراهية الموت) (وغياب إنسان الإيمان، والإنتاج والاحتساب

*أما الدورة الحضارية الثانية، أو المرحلة الحضارية الثانية، التي تمر بها الأمة، هي مرحلة العقل، وضمور الإيمان، وفتور الحماس، نسبياً، مرحلة التوازن، بين العمل والأجر، بين الحق والواجب، بين الإنتاج

والاستهلاك، بين الدنيا والآخرة، دورة ضبط النسب، حلول العدل، محل الإحسان،وهنا تصل الحضارة إلى قمتها، وتبدأ مرحلة السقوط، إذا لم تستدرك ما يتسرب لها من أمراض

*والدورة الحضارية الثالثة، أو مرحلة ما قبل السقوط النهائي، هي مرحلة غياب الإيمان وبروز الشهوة، والغريزة، وانكسار الموازين الاجتماعية،واستباحة كل شيء وبكل الأساليب وعندها تسقط الحضارة، وتموت الأمة، ويتم الاستبدال

قيام وسقوط الأمم و الحضارات و الدول

هذه قضية كبرى، اهتم بها المؤرخون والمفكرون وعلماء السياسة عبر العصور واجتهدوا في تقديم الأسباب والعوامل التي تفسر موت الأمم من زوايا وجوانب شتى الاهتمام بهذه القضية ليس مبعثه فقط محاولة الفهم والتفسير، ولكن لسبب آخر هو أكثر أهمية

فهم أسباب انهيار وموت الدول و الأمم والحضارات يقدم الإجابة للتساؤل المقابل كيف تحيا الأمم؟ أي كيف يمكن لها أن تتجنب مصير الانهيار والموت والفناء؟ بالضبط بنفس معنى إن فهم أسباب المرض ومعرفة إعراضه هو ضرورة أساسية لمعرفة العلاج ووصفه للمريض وهذه قضية تهمنا بداهة في الوطن العربي اليوم على ضوء مظاهر التدهور والانهيار التي نشهدها في المرحلة الحالية التي تمر بها الأمة

ويستحيل أن نقدم ولو تلخيصا لكل أبعاد الجدل حول هذه القضية وما قدمه المؤرخون والمفكرون والعلماء من إجابات على هذه السؤال الكبير لكن سنقدم على الأقل لمحة عامة لما قدموه تعطي صورة عامة للجوانب الأساسية المثارة بهذا الخصوص وتقدم الأفكار الكبرى التي طرحت

**معنى موت الأمم و الدول**

ماذا يعني بداية موت آو انهيار الدول و الأمم والحضارات؟ قبل كل شيء، يجب التفريق بين موت امة و موت دولة

فموت امة يعني موتها بالمعنى الحرفي المباشر، أي اختفاءها المادي من الوجود وفي تاريخ البشرية نماذج كثيرة لأمم وحضارات قامت وازدهرت ثم اختفت من الوجود لكن المثال الأبرز الذي يرد فورا إلى الذهن هنا هو دولة العرب والمسلمين في الأندلس التي عاشت لثمانية قرون كاملة متصلة ثم اختفت من الوجود

غير أن موت أو انهيار دولة ينصرف إلى معنى آخر غير معنى الاختفاء المادي الفعلي فقد يكون علامة جديدة لحياة جديدة للأمة نقصد تحديدا عندما يتم انهيار نظام حاكم كانت تتداول فيه السلطة من جيل إلى أخر ليقوم مكانه نظام حكم أخر أكثر شانا و أكثر قدرة و تطورا , كما هو الحال عند سقوط دولة الأمويين و قيام دولة العباسيين دون موت الأمة الإسلامية فموت الدولة لا يعني بالضرورة موت الأمة

**لنر فيما يلي كيف ناقش المفكرون والعلماء قضية موت وحياة الأمم**

**نظرية ابن خلدون**

**أي نقاش لقضية تفسير انهيار وموت الدول والأمم لدى المفكرين لا بد أن يبدأ من العلامة العربي الكبير ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع المعاصر في العالم كله ابن خلدون كان في طليعة المفكرين الذين ناقشوا القضية في عمله الخالد «المقدمة»، وقبل أن يتطرق إليها المؤرخون والمفكرون في الغرب بزمن طويل**

**وحقيقة الأمر أن هؤلاء المؤرخين والمفكرين عندما ناقشوا القضية بعد ذلك تأثروا بشدة بابن خلدون وأفكاره بهذه الدرجة أو تلك كما سنرى حالا ماذا يقول ابن خلدون إذن عن هذه القضية؟**

**في رأي ابن خلدون، الدول لها دورة حياة مثلها بالضبط مثل الإنسان أي تولد، ويقوى عودها وتشتد، وتهرم، ثم تموت وابن خلدون قدم تصورا متكاملا لمراحل تطور الدول من قيامها حتى موتها هذا التصور يقوم على ان الدول تمر بخمسة أطوار:**

**الطور الأول: طور القيام والنشأة حيث «إن مجموعة من الناس أصحاب عصبية جاهدت وقاتلت حتى حصلت على الملك تجد أنهم في المرحلة الأولى مجتمعين لان الملك حصل لهم جميعا فبينهم تعاون وتضافر وتلاحم**

**والطور الثاني: هو ما يسميه طور الاستبداد والاستئثار بالسلطة والسلطان**

**والطور الثالث :طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك**

**والطور الرابع: طور الخنوع والمسالمة والتقليد للسابقين بحيث «يقول الإنسان إن ما كان عليه آباؤه وأجداده هو السليم»**

**والطور الخامس: هو الإسراف والتبذير واصطناع قرناء السوء وإبعاد الصالحين الناصحين**

**وكما نرى، فان ابن خلدون قدم تصورا لمراحل الانهيار التدريجي للدول، وسبب الانهيار في كل مرحلة إلى أن ينتهي الأمر بزوال الدولة**

**بعض المفكرين العرب اخذ على ابن خلدون انه قدم نظرية لقيام وتطور الدول وموتها باعتبارها قدرا حتميا، ومن ثم فلا مجال لإصلاح أو إنقاذ الدولة من الموت فطالما أن هذه هي دورة الحياة الحتمية للدولة، فان المعنى الضمني المفهوم أن أي جهد آو إصلاح لن ينقذها في نهاية المطاف من مصيرها المحتوم لكن الحقيقة أن هذا حكم تعسفي إلى حد كبير ذلك أن حرص ابن خلدون على أن يحلل ويفسر أسباب وعوامل الانهيار التدريجي يعني بداهة ان معالجة هذه الأسباب وتجنب دواعي الانهيار هذه كفيل بأن ينقذ الدولة من الانهيار وعلى العموم لو أعدنا قراءة هذا العرض المبسط جدا لتصور ابن خلدون، سنكتشف فورا**

**الأسباب التي تقف في رأيه وراء انهيار وموت الدول**

**نظرية توينبي**

**المؤرخ البريطاني الكبير ارنولد توينبي من اكبر من قدموا إسهاما في دراسة القضية قضية انهيار الحضارات وهو بالمناسبة تأثر جدا بابن خلدون، وسجل بنفسه ذلك كتب يقول: إن المجال الذي اختاره ابن خلدون بجهوده العقلية يبدو انه كان سابقا فيه، فلم يطرقه احد من أسلافه ولم يكن له منافسون من معاصريه وتعد مقدمته في فلسفة التاريخ بلا شك أروع انجاز من نوعه أبدعه عقل في أي زمان أو مكان توينبي قضى كل حياته الفكرية تقريبا في دراسة هذه القضية بالذات وقدم للفكر الإنساني عمله الموسوعي الضخم «دراسة للتاريخ» في ١٢ مجلدا درس في موسوعته هذه قصة صعود وسقوط الأمم والحضارات في العالم ودرس تحديدا قصة ٢٢ حضارة في تاريخ البشرية ذلك أن تاريخ البشرية بالنسبة لتوينبي هو تاريخ الحضارات وليس تاريخ الدول المتفرقة الصغيرة**

**ونظرية توينبي في قيام وصعود وسقوط الحضارات بسيطة للغاية يطلقون عليها «نظرية التحدي والاستجابة» بالنسبة إليه، الحضارات تقوم وتصعد استجابة لتحديات محددة سواء كانت هذه التحديات مادية أو اجتماعية وفي تحليله إن الحضارة عندما تصل إلى مرحلة تعجز فيها**

عن الاستجابة للتحديات التي تجابهها، فإنها تدخل في مرحلة الانهيار لكن ما الذي يجعل حضارة تعجز عن الاستجابة للتحديات؟ في رأي توينبي أن السبب الأساسي لهذا العجز هو عندما تفقد الحضارة قوتها الأخلاقية والروحية، أي عندما تشهد انهيارا وأخلاقيا ودينيا

في تحليل توينبي أن هذا الانهيار الأخلاقي والديني يقود إلى الجمود، والى العجز عن الابتكار والتجديد والإبداع، ومن ثم العجز عن مواجهة التحديات حين يحدث هذا، تشهد الأمة أو الحضارة ما يسميه توينبي «شرخ في الروح» يقود إلى موت القدرة الروحية والأخلاقية على الإبداع والتجديد ومجابهة التحديات هذه هي وباختصار شديد جدا ملامح نظرية توينبي في تفسير انهيار الحضارات وسقوطها وهو بناء على نظريته هذه، يقسم مراحل تطور الحضارات إلى خمس مراحل ونلاحظ تأثره الشديد هنا بالتقسيم الذي قدمه ابن خلدون

-1مرحلة الميلاد والنشأة

- 2مرحلة الازدهار والتوسع السريع

-3مرحلة الجمود والعجز عن التطور والإبداع والتجديد

-4مرحلة الانحلال والتدهور الأخلاقي

-5مرحلة السقوط والانهيار

إذن، جوهر نظرية توينبي يقوم على أن الأمم والحضارات تموت أساسا

**بسبب عوامل داخلية وفي القلب من هذه العوامل الداخلية انهيار القيم والقوة الأخلاقية ولقد لخص هو بنفسه القضية برمتها في عبارة بليغة حقا عندما قال: «الحضارات لا تموت قتلا، وإنما تموت انتحارا»**

**نظرية ويل ديورانت**

**أيضا المؤرخ الأمريكي العظيم ويل ديورانت مثله مثل توينبي قضى عمره في دراسة قصة تطور وصعود وسقوط الحضارات في تاريخ البشرية وليس غريبا أن النظرية التي خرج بها في تفسير انهيار وسقوط الحضارات والأمم لا تختلف كثيرا عن نظرية توينبي، بل هي تكاد في الحقيقة تتطابق معها**

**ديورانت لخص بنفسه ملامح نظريته في مقال شهير له عنوانه «ما هي الحضارة؟« في تحليله أن هناك مقومات محددة تقوم عليها الحضارة بالضرورة هي:**

**-1وجود نظام سياسي**

**-2وجود شكل من أشكال الوحدة في اللغة كي تكون وسيلة اتصال وتفاعل عقلي وثقافي**

**-3لا بد من وجود معايير أخلاقية متعارف ومتفق عليها كي تكون موجها وهاديا وحافزا**

**-4وجود دين أو عقيدة أساسية حاكمة**

-5وجود نظام تعليمي ينقل القيم والثقافة إلى الأجيال الجديدة وفي رأي ديورانت، فان اختفاء أو انهيار بعض هذه المقومات، وأحيانا انهيار واحد منها فقط يمكن أن يدمر الحضارة ويقود إلى انهيارها

وفي كتابات أخرى كثيرة، يضع ديورانت الانهيار الأخلاقي والديني والأخلاقي في مقدمة عوامل سقوط الحضارة يقول: «الحضارات العظيمة لا تنهزم إلا عندما تدمر نفسها من داخلها والأسباب الأساسية لانهيار روما مثلا والحضارة الرومانية تكمن في شعبها وأخلاقياته، وصراع فئاته وطبقاته، والاستبداد الذي عرفته وهكذا« ويقول أيضا: «قبل عصرنا الحالي، لا توجد أمثلة في التاريخ لمجتمع استطاع أن يسمو أخلاقيا في حياته من دون مساعدة أساسية من الدين»

ذه عزيزي القارئ بعض من النظريات والأفكار التي طرحها المؤرخون والمفكرون في محاولاتهم الإجابة عن السؤال: لماذا تنهار الحضارات و الدول وتموت؟ قبل أن أقدم نظرية أخرى أكثر تطورا و دقة و أفكار أخرى بهذا الخصوص لا بد من الإشارة إلى بعض الملاحظات الأساسية الأمة ليست هي الدولة فقد تجد امة يحكمها نظام دولة تقليدي أو جد متطور لكن هدا لا يعني أنها متحضرة فالتحضر هو مرتبط أساسا بالأخلاق التي تحكم المجتمع أو الأمة لكن يبقى مفهوم التحضر في حد ذاته مفهوم وضعي إن لم نقل بهيمي من اختلاق الإنسان عل عكس

**مفهوم الخلافة الذي هو مفهوم رباني لقول الله تعالى: وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**

**فكلمة حضارة هي كلمة مرتبطة بشكل آو أخر بكلمة حظيرة كحظيرة الدجاج أو الماشية و قد تكون هده الحظيرة تقليدية أو جد متطورة تعتمد في سير نشاطها على أخر مستجدات التكنولوجيا كالحظيرة الأمريكية مثلا ! عفوا الحضارة الأمريكية حيث يعيش مواطنيها كقطيع من الماشية يتم تقنين نشاط حياته بوسائل جد متطورة تعتمد على التقنية الرقمية**

**يقول الأديب والفيلسوف الألماني العظيم جوته: الذي لا يعرف كيف يتعلم دروس الثلاثة آلاف سنة الأخيرة، يبقى في العتمة مراجعة التاريخ، طال أو قصر، هي مراجعة للذات؛ كشرط أولي للفهم، لفهم العالم، ولفهم الذات، ولفهم العلاقة بينهما، ومن ثم، لفهم موقع الإنسان في حدود الفعل والانفعال**

**نحن للأسف، بقينا في عالمنا العربي ندور مُكرّرين لأخطائنا الكارثية بما هو أشد وأفظع، وكأننا بلا تاريخ، أو حتى بلا ذاكرة لم نستطع أن نتعلم حتى من تاريخنا، بل حتى من دروس السبعين سنة الماضية من تاريخنا المتردي؛ فترديا في جهالات ونكبات، هي ظلمات بعضها فوق بعض؛ بحيث تبقى عتمة جوته بالنسبة لظلماتنا صريح الصباح**

**في الجزء الاول من هذا الموضوع ,الذي اخد من عمري سنوات من**

البحث و التمحيص و التفكير و التامل , لعلي افهم كمسلم غيور على امته اسباب و الالتباسات التي أدت إلى تراجع الأمة بعدما كانت سباقة الى اكتشاف و تقعيد النظريات العلمية الكبرى كنظرية علم الاجتماع للمؤسس الكبير ابن خلدون ,دكرت الخطوط العريضة لهده النظرية الكبيرة و كيف ساهمت في تطوير فكر علم الاجتماع الغربي و في ما يلي ساعرض نظريتي الخاصة بالثورة كمحاولة لفهم في العمق نظرية ابن خلدون و فهم المفصل الاساسي في تطور الامم لعلنا , كاخير امة اخرجت للناس ,نخرج من عنق الزجاجة لقيادة الامم الخرى

نظرية الثورة:

الثورة بين عالم الواقع و عالم الأفكار

ان التطور الذي مرت به البشرية عبر مسارها الحضاري منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا ما هو في حقيقته إلا سلسلة متصلة من الثورات، وبالرغم من كثرة التعريفات التي تحاول تحديد ما هي الثورة إلا أنه يمكن إجمالها في كون الثورات هي تلك التحولات الجذرية والسريعة للعلاقات والأوضاع الاجتماعية والسياسية والتي ربما تتم بإجراء عنيف بدرجة ما ويشير هذا التعريف الإجمالي ضمنياً إلى ثلاثة ملامح أساسية للثورات، وهي :

- جذرية التحولات

•سرعتها

•العنف المصاحب لها

فالتحولات الجذرية تعني التغييرات العميقة والشاملة في البنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع، وهي التحولات التي كانت تمثل طفرات وقفزات هائلة للمجتمعات – ربما للأمام أو للخلف ومن أمثلتها التحولات التي طرأت على الجزيرة العربية عقب الإسلام، أو على أوروبا عقب عصر النهضة، أو على الصين وروسيا عقب الثورات الشيوعية أو على تركيا عقب الثورة الأتاتوركية أو على مصر عقب الثورة العسكرية، وغيرها من الأمثلة الكثير

أما السرعة فيقصد بها أن الثورات عموماً تختصر الزمان، فتلك التحولات الجذرية التي تطرأ على المجتمعات بطريقة غير طبيعية (الثورة) تحتاج غالباً إلى مئات السنين لتحدث بالمسار التراكمي الطبيعي، فهي تبدو كما لو أن البشرية تختصر طريقها نحو التطور عبر تلك الثورات

وأما الملمح الثالث للثورات فهو العنف، وهذا العنف – على اختلاف درجات قسوته ومدى استخدامه - الذي واكب الكثير من التحولات أو الثورات في تاريخ البشرية ليس بالضرورة أن يكون نتاج دعاة الثورة؛ وإنما كان في كثير من الحالات يمثل رد الفعل على هذه الدعوة للثورة

على القديم و يمكن التعبير عن العنف هنا بمقاومة التغيير
فعلى سبيل المثال تعرضت ثورة الحضارة الإسلامية على الواقع الحضاري المتردي في جزيرة العرب لمقاومة عنيفة، وتلك الحالة من العنف التي مرت بها الحضارة الإسلامية في مخاضها الأول لم تكن جزءاً من دعوة التحول والثورة على القديم – وهي الدعوة التي اتخذت شكل الوحي السماوي - وإنما كانت وليد مقاومة التغيير والعنف الذي واكب ثورة الحضارة الأوروبية الحديثة في عصر نهضتها لم يكن جزءاً من كتابات رواد النهضة الأوروبية – وهي التي اتخذت شكل التفكير العقلي - وإنما كان رد فعل على تلك الدعوات الجريئة للثورة على القديم والثورة الصناعية الأوروبية واكبتها معارضة ومقاومة من قبل الإقطاعيين، والعنف الذي واكب ثورة الربيع العربي مؤخرا لم يكن جزءا من دعوة الشعوب العربية للعدل و محاربة الفساد و إنما كان رد فعل على تلك الدعوات الجريئة و السلمية و الشجاعة في بعض الدول كمصر مثلا بل يمكن تفسير حالة العنف و القتل و الهرج و المرج التي تمر بها الأمة الإسلامية الآن كردود أفعال متوالية و غير محسوبة على عنف الأنظمة الفاسدة و العميلة للحكومة الصهيونية العالمية

بالرغم من إن الثورات السياسية و الاجتماعية وجدت الكثير من الاهتمام ,فتناولها الكثيرون بالشرح و التحليل , و أسهب علماء السياسة

و الاجتماع و التاريخ في شرح أسبابها و معجلاتها وكوابحها و شروط عملها ,إلا أن كل تلك الكتابات لم تعطينا نظرية قائمة بذاتها على أسس علمية مضبوطة و لهدا فان البشرية عامة و الأمة الإسلامية خاصة لهي في أمس الحاجة الآن إلى صياغة نظرية علمية دقيقة على شكل نموذج خوارزمي model algorithmique تبني فيه العلاقات السببية بين الأحداث و الوقائع و المراحل للثورة

و هنا ينبغي الإشارة إلى تلك الثورات التي مرت –و لا تزال تمر – بها البشرية لم تحدث في عالم الواقع فحسب , و إنما حدثت في عالمين: أولا على ارض الواقع ثم انتقلت إلى عالم الأفكار و بعدها رجعت إلى ارض الواقع داخل حلقة جدلية بين الواقع و الفكر

مراحل الثورة:

تمر الثورة بسلسلة من المراحل تخضع لقانون السببية آو قانون الجبر أي مرحلة تجبر حدوث مرحلة تالية و هكذا ,و قبل البدء في سرد تلك المراحل لابد من تثبيت عامل الزمن ,و دلك بافتراض لحضه تاريخية معينة تسود فيها أزمة سياسية , اقتصادية و اجتماعية و انطلاقا من هده الأزمة يتحدد شكل الفعل و شكل الاستجابة للتحديات التي يواجهها دلك المجتمع في تلك اللحظة التاريخية من حيلته

مرحلة الأزمة : هده المرحلة تكون على ارض الواقع حيث يعم الظلم

**الاجتماعي و انتشار الفقر و العبث السياسي و و و كل هده الوقائع ما هي إلا نتيجة إطار**
**فكري , نظري , سياسي, اقتصادي ,قانوني ...,يحتوي بين طياته تناقضات و انحرافات و عيوب لم تظهر الا بالممارسة على ارض الواقع تكون نهايتها أزمة سياسية، اقتصادية و اجتماعية متفاوتة الحدة تسلمنا إلى المرحلة التالية**

**مرحلة الرفض : اد تسود حالة من الرفض الواعي و الغير الواعي للأوضاع القائمة و تتجلى حالة الرفض الغير الواعي في تدمر و احتجاج شريعة واسعة من المجتمع الغير الواعي بالأزمة أما الفئة المتعلمة و الواعية فتبدأ بانتقاد دلك الإطار الفكري الذي على أساسه قام نظام سياسي اقتصادي و اجتماعي فاسد حيث تركز على جوانب العيب و النقص و التناقض التي تعتريه و على أسباب عجزه على تحقيق العدل الاجتماعي و الاقتصادي للمجتمع و هدا يسلمنا بشكل جبري للمرحلة التالية**
**مرحلة الاكتشاف : فيها يكتشف المفكرين و النخبة المتعلمة الأسباب الفكرية و بؤر التناقض و العيب في الإطار الفكري الحاكم و العاجز عن إيجاد مخرج للازمة و القلق و الاضطراب الاجتماعي اد يدركون أهمية و**

**حتمية الخروج عن الإطار الفكري السائد و الحاكم عبر محاولات جادة لعمليات التباديل و التوافيق و تعديل المعادلات داخل الإطار الفكري نفسه و هدا ما يسمى بالإصلاح السياسي أوالاقتصادي**

**مرحلة التنظير : هده المرحلة لا تبدأ إلا ادا عجزت النخبة الحاكمة في إيجاد حلول عاجلة و توفيقات فكرية و تعديلات داخل الإطار الفكري الحاكم للقيام بعملية إصلاحه و تعديله ليستجيب لتطلعات الكثرة النشطة و الملحة على إيجاد مخرج للازمة و هدا ما يسمى بالتحدي الخلاق اد تعجز الأطر الفكرية القائمة في تلك اللحظة عن التعامل معه و هنا تدين البشرية في تطورها إلى تلك التحديات الخلاقة التي ساهمت على هدم الأطر الفكرية الحاكمة و استبدالها بأطر فكرية أكثر تطورا منها اد تتشكل و تتطور أفكار جديدة مبتكرة على شكل نظريات علمية جديدة ,و هي التي تؤدي بالتالي إلى بلورة إطار فكري جديد و من ثم تكون الثورة الفكرية قد بلغت ذروتها و استوت على سوقها لتنتقل بعدها إلى عالم التطبيق بعدما اختبرت قوتها في عالم الأفكار أمام مقاومة و عنف الإطار الفكري القديم**

**مرحلة التحول :فيها تكتسب الأفكار الجديدة الكثير من القوة، إذ تصبح مضرب المثل ويستشهد بها المفكرون والقادة والعلماء، ومن ثم تكتسب الأفكار قوتها من استخدام المفكرين لها وكتابتهم عنها وابتداءً من هذه**

**المرحلة تضعف المقاومة وتبدأ في السكون، وتتسرب العقول من معسكر المقاومة إلى معسكر الثورة، ابتداءاً على استحياء ثم بعد ذلك جهراً، لتصل إلى الفخر بالانتماء إلى معسكر الثورة في نهاية هده المرحلة التي تفضي الى قيام نظام سياسي، اجتماعي و اقتصادي جديد على ارض الواقع**

**و هنا ينبغي الإشارة بان هدا الإطار الفكري الجديد يحوي أيضا بين طياته أفكار شاذة و عيوب و تناقضات و هي تلك العيوب التي ستترجم فيما بعد إلى ظلم و فساد و تنتهي بأزمة على ارض الواقع وهكذا تسير الأفكار من ثورة إلى أخرى إلا ادا تم التوصل إلى نظريات علمية متكاملة و كاملة لا يأتيها العيب و لا الباطل من أي ناحية و هدا لا يتأتى إلا من خلال تطبيق سنة الله في الأرض تطبيقا علميا لقول الله تعالى) فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا (و هدا ما يسمى بالقومة العلمية و هو مفهوم اكبر و اوسع من مفهوم الثورة و التي ستفضي إن شاء الله إلى قيام الخلافة على نهج النبوة**

**في الجزء المقبل سنتطرق على ضوء مما سبق الى تجربيتين متميزتين في تاريخ الامة الحديث، كمحاولة لنقد مسار الامة للخروج من عنق الزجاجة نحو تحقيق قيام الخلافة على نهج النبوة، و هما:**

***تجربة الثورة المصرية كتجربة سلمية فريدة من نوعها**
***تجربة الدولة الاسلامية بالعراق و الشام كتجربة مسلحة**
**و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته أسباب انهيار الأمم**

**لم يُكتب البقاء لأيّ مجتمع ظهر فيه الفساد على مدى التاريخ، ولا أعلم إن كان في هذا استثناءٌ أم لا، ولكن لا جرم أن الأمم التي حافظت على وجودها مدّةً طويلةً دون أن يجافيها التاريخ كانت تحترم القيم الأخلاقيّة**

المساوئ الأخلاقية

**إذا ألقينا نظرةً على الحضارات السابقة نجد أنّ معظم الانهيارات ترجع إلى قارضٍ أخلاقي كالقارض الذي تسلّط على سدّ إرَم، وأحيانًا لا نشعرُ بالمساوئ الأخلاقية وهي تنخر بهدوءٍ في قيم المجتمع، وإذا ما شعرنا بها يكون الزمن قد ولّى، مَثَلُها مثلُ السرطان، فكما لا نستطيع غالبًا أن نفطن إلى وجود السرطان إلا بعد غزوه المناطِقَ شديدة الحساسيّة في البنية وبعد أن تبدأ الرحلة إلى الآخرة، فكذلك هذه المساوئ**

***لم يُكتب البقاء لأيّ مجتمع ظهر فيه الفساد على مدى التاريخ***

**نعم، كيفما يفعل السرطان في بنية الإنسان تفعل المساوئُ الأخلاقية في حياة الأمم، فإنْ تغافل رؤساءُ الدول ثم أرباب الأُسَر والمربّون والأمّة**

**جميعًا عن مثل هذا الانحطاط الأخلاقيّ لانهارت الأمّة كلها انهيارًا مدوّيًا، وربما لا يتنبّه البعضُ من الغفلة حتى لو انهارت أركان الأمّة كافّة، ولعل البعض الآخر يرى الأمر طبيعيًا كالأحياء التي تعيش تحت الأنقاض بحجّة أن هذه هي الحياة**

أصحاب نزعات التحرر

**من الأسباب الرئيسة كذلك وراء انهيار الأمم طيْش الشباب واستهتارهم، والرغبة في إحياء المشاعر البهيميّة لدى أصحاب نزعات التحرُّر، والانغماس في الشهوات، وابتغاء المجتمع للدنيا ونسيانه للآخرة، والبعد عن الله والإعراض عن القرآن، وانسلاخ القلوب من مشاعر الخوف والمهابة، وانجرار كلّ شيءٍ إلى المادّة**

الفراغات المعنوية والأمور الدنيوية

**إن معظمُ هذه العوامل هي السببُ في انهيار العديد من الدول، ففي حين أننا كنّا نريد التخلّص من الأزمات التي أحدثتها الفراغات المعنويّة إذا بنا نستعين بأمورٍ دنيويّةٍ تزيد من حدّتها، وندخل في دائرةٍ فاسدةٍ، بيد أن المشكلة تنبع من فقدان الأمم لمعنويّاتها وابتعادها عن القرآن ومبادئ الإسلام ونسيانها لربّها عزّ وجلّ، فأصبح مصدرُ الداء دواءً لمن يبحثون**

**عن دواءٍ لدائهم العميق*الأمم التي حافظت على وجودها مدّةً طويلةً دون أن يجافيها التاريخ كانت تحترم القيم الأخلاقيّة***

**هذا وإنّ نقطةَ الانحراف معروفةٌ واضحة؛ إذ كان كلّ شيءٍ ينشأ عن الانغماس في المادّة وإهمال المعنى، بيد أن الحياة المادّيّة تُشكّل جانبًا من حياة الإنسان والحياةُ المعنويّة تُشكّل الجانب الآخر منها، بل جوهرَها، ومثل هذا القصور المعنويّ لا يمكن سدّه بالمادة**

توازن المادة والمعنى

**في الواقع يمكن لكلّ شيءٍ أن يحقّق التوازن إذا ما تمّ الأخذ بالمادة والمعنى على السواء وفق قدر ومقدار كلٍّ منهما؛ يعني يتحقّق التوازن والنجاح إن وفّينا حقّ الله بما يليق بعظمته سبحانه، وأدّينا حقّ القرآن حقّ قدره، ووجّهنا اهتمامَنا وتقديرَنا للدنيا على حسب قيمتها وللآخرة كما يليق بها**

**يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُنْيَا) (سُورَةُ القصَص: ٧٧/٢٨)؛ أجل، يجب أن نستغلّ ما أنعم الله علينا به من صحّةٍ وعافيةٍ وثروةٍ وعقلٍ وأن نستعدّ بذلك للآخرة، ولا ننسى في الوقت ذاته نصيبَنا من الدنيا، هذا هو مقياس**

القرآن الكريم، فلو تحقق التوازن بين الدنيا والعقبى حسب هذا المبدأ القرآنيّ ما أصابنا هذا القدر من البؤس والتعاسة المصدر :من كتاب من البذرة إلى الثمرة

سباب سقوط حضارات الأمم السابقة ببيان من القرآن الكريم

أسباب السقوط حضارات الامم السابقة ببيان من القران

وفي المقابل يوضح القرآن ان الاعراض والتكذيب والظلم والطغيان، وبطر النعمة، والكفر باللّه عز وجل أسباب لسقوط اعتى الحضارات واقواها يقول تعالى : ومن اعرض عن ذكري

فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم ننسى طه ١٢٤ * ١٢٦

ويقول تعالى: ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون الأعراف ٩٦

ويقول تعالى :الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد الفجر٦ * ١٤

ويقول تعالى مخبراً عن فرعون وكفره وكيف اهلكه اللّه سبحانه فكذب

وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى فأخذه اللّه نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى النازعات ٢١ * ٢٦ بل ان بطر النعمة والجحود بها سبب من أسباب الهلاك، وسنة من سنن اللّه في سقوط الامم وزوال الحضارات، يقول سبحانه: وضرب اللّه مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم اللّه فاذاقها اللّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون النحل ١١٢ والمعنى ان كل قوم انعم اللّه تعالى عليهم بنعمة الامن والرزق الوفير الواسع فأبطرتهم هذه النعمة فلم يقدروها حق قدرها ولم يشكروا اللّه عليها، ولم يقوموا بحقها فأنزل اللّه فيهم نعمته، فليحذر غيرهم ان يفعلوا فعل هذه القرية التي ضربها اللّه مثلا لئلا يصيبهم ما اصابهم وما يمكن ان يقال في هذه الآية يقال في غيرها من مثل قوله تعالى : وكم من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين القصص٥٨ والقرآن لا يبخس هذه الحضارات حقها فيما انجزت من عمران وتشييد وبناء، ولكنها يطرق بعنف ان الذنوب والسيئات ليست محايدة، وانما هي تعمل في الحضارات والمجتمعات عمل الامراض في الاجسام

من الجهد والسقم والضعف والافناء، بل هي اخطر فتكا، واشد اثرا، لانها تقتل في الانسان اشرف ما فيه، وهي المعنويات والفضائل

والمكرمات التي فضل اللّه بها الانسان وميزه عن الحيوان الاعجم، يقول تعالى: ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا الإسراء ٧٠

فأي امة أو حضارة اعرضت عن سنن الحق في النفس والحياة والعلاقات والاشياء، واعرضت عن هدى اللّه فكفرت بأنعمه، واشركت به سبحانه، واستعلى اولو الامر فيها فتكبروا وتجبروا واتبعوا اهواءهم فتتكبوا الاخلاق الكريمة والاعمال الصالحة فظلموا انفسهم، وتجبروا على قومهم، وشاعت فيهم منكرات الاخلاق والافعال * اذا فعلوا ذلك نزل بهم عقاب اللّه لا محالة، يقول تعالى M واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدمير الإسراء ١٦

ومعنى قوله ففسقوا فيها: اي امرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة ـ انظر تفسير ابن كثير ج٣ صـ ٥٥

وشهد شاهد من أهلها

وعلماء الاجتماع * انفسهم * يقررون حقيقة مؤادها انه ما طار طير وارتفع، الا كما طار وقع؟، والمعنى ظاهر لا لبس فيه، فلن يستطيع الطير المحلق في السماء ان يظل محلقا طوال عمره، فلابد ان يضعف، ومن ثم يسقط، اما متعباً ليواصل السير بعد راحة وسكون، واما ميتا بعد ما اصابه الاعياء والجهد وكذلك الامم وحضاراتها، والتاريخ شاهد عدل،

وراوى صدق، فلم تبلغ امه من الامم قمة المجد من العلم والمال والقوة والنفوذ، الا وسقطت لانها لم تستطع ان تحفظ بقاءها، المرهون بحفظها لاوامر اللّه ونواهيه من كان يظن ان الحضارة الشيوعية * على امتدادها ونفوذها وقوتها * ستنهار؟ ولكنها انهارت M فأتى اللّه بنيانهم من القواعد وخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون M النحل ٢٦ وهكذا تدور سنن اللّه سبحانه بل ان الامة الاسلامية نفسها تبكي الآن على قرون مضت من عمرها، استطاعت ان تفتح فيها الدنيا بأسرها، وتنشر علمها ومبادئ دينها فوق ربوع العالمين، ولكن اين هي الآن؟ ان البكاء على امجاد الماضي لن يفيد، ولكنه في الوقت نفسه لن يضيع، فلن تهن الامة أو تضعف، انها مرحلة خمول وحسب، وبعدها ستعمل سنن اللّه عملها، وستعود الامة الى سابق مجدها والغربيون انفسهم * المنصفين منهم * فيهم من يرى مثل هذه الحقائق، ويقررها، واصفا الحضارة بأنها كائن عضوي؟ يسرى عليها مثل الذي يسرى على الكائنات كلها في ادوارها المتتابعة قوة وضعفا يقول مؤلف كتاب معركة الحضارة

الحضارة كائن عضوي، وككل كائن عضوي لها ادوارها المتتابعةانها كالانسان تولد فتمر بأدوار الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة انها تدور في اربعة فصول لها ربيعها المتسم بالفاعلية الروحية، وصيفها

الذي تتضح فيه، وخريفها الذي يسوده التحليل العقلي، وشتاؤها الذي تكون فيه قد استنفدت جميع امكاناتها الداخلية، فتتصرف الى الاهتمامات المالية، والى الفتوح الخارجية، ويكون هذا مقدمة لانحلالها وانهيارها أسباب سقوط وانهيار واندثار الأمم

أثبتت الدراسات التاريخية التي أجرتها مراكز البحوث والدراسات العالمية المختصة في العالم أن التاريخ الإنساني شاهد ظهور أمم وتصاعدها وبلوغها قِمم المجد في كل المجالات ، ومن ثم بدأت مسيرتها تتراجع وتتداعى شيئاً فشياً الى أن وصل بها الأمر الى حالة الأنهيار الحضاري والأخلاقي والسياسي ثم السقوط في الهاوية في نهاية الأمر على يد أضعف أعدائها وخصومها من الأمم الأخرى هنا لا نريد أن نأتي بأمثلة عينية محددة ، ولكن بامكان القارئ الكريم أن يستعرض تاريخ الحضارات القديمة في العراق منذ عهد سومر والى اليوم ومصر واليونان والهند والصين وحضارات شعب المايا في أميريكا وفي أوروبا وغيرها من الأمم العريقة بتاريخها القديم وأن يتأمل من خلال ذلك ما هي أسباب سقوط تلك الأمم وانهيارها ثم اندثار قسم منها ؟؟ ، وعندها سوف يكتشف وبقناعاته التحليلية أن هناك مشتركات أساسية ذاتها بين الأسباب التي أدت الى سقوط وانهيار واندثار تلك الأمم التي كانت

حضاراتها قد وصلت الى قِمة المجد والتطور والرقي في زمانها ، ثم بفعل تلك الأسباب التي نراها مشتركة بين الأمم في سقوطها وانهيارها واندثارها بالرغم من اختلاف الثقافات والتقاليد القومية والبعد الجغرافي فيما بينها قد تراجعت ووصلت الى الحضيض ، وظهرت وتصاعدت أمم أخرى لم يكن لها شأناً في السابق ، وما زالت سُنة هذه العملية التاريخية التراكمية سائرة في مسارها الطبيعي في صعود أمم الى قِمم المجد وسقوط وانهيار واندثار أمم أخرى الى مزبلة التاريخ بالتوالي

لقد حصل اجماع الأراء والرؤى أو شبه إجماع على الأقل بين الباحثين والدارسين على أن الأسباب الرئيسية لسقوط وانهيار واندثار الأمم ، والتي هي في حقيقتها وجذورها التاريخية أسباب ذاتية داخلية توارثت من جيل الى جيل وتراكمت وتضخمت الى أن باتت أسباب مدمرة وقاتلة ، وأن مؤشرات وملامح سقوط وانهيار واندثار الأمم يبدأ من خلال بروز الظواهر التالية كأسباب رئيسية

أولاً : شيوع فساد القضاء

ثانياً : شيوع خيانة الأمانة الوظيفية الوطنية المسؤولة

ثالثاً : شيوع تعاطي النفاق والرياء السياسي بين مثقفي الأمم

أولاً : بالنسبة الى شيوع فساد القضاء يعني غياب القانون وضعف سلطته الرادعة للجريمة والتجاوزات بكل أشكالها ، وغياب القانون يعني

غياب الدولة وموتها ونهايتها كما قال إبن خلدون فساد القضاء يفضي الى نهاية الدولة إذن في ظل شيوع فساد القضاء يعني انتشار الجريمة بكل أشكالها ، وغياب الأمن والآمان والسلم الاجتماعي ، وسيادة قانون شريعة الغابة الذي في ظله القوي يأكل الضعيف والثري يشتري ذمم الفقراء ويسخرهم لخدمة مصالحه الشخصية ، ويتحول المجتمع الى ساحة لصراع الأرادات الخبيثة والبقاء حتماً سيكون للأقوى والأخبث والأكثر شراً ونفاقاً ورياءً ، هكذا تكون الصورة النهائية المأساوية للمجتمع ، وفي ظل فساد القضاء يسود مبدأ الميكيافيللي الشرير أن الغاية تُبرر الوسيلة

ثانياً : أما بالنسبة الى شيوع خيانة الأمانة الوظيفية الوطنية المسؤولة بكل أشكالها في ظل وجود دولة قوية لها سطوتها التي تستمدها من قوة القانون وتفرض احترامها وهيبتها على الجميع بغض النظر عن الموقع الأجتماعي للفرد ومستوى مسؤوليته في مؤسسات الدولة يعني تفكك آواصر قوة الدولة والقانون وتماسكها مؤسساتياً ، وتعتبر خيانة الأمانة شرخاً كبيراً يؤدي الى خراب وانهيار بُنية الدولة ومن هنا تبدأ بداية النهاية للدولة المؤسساتية إن من أسوء أشكال الفساد هو خيانة الأمانة الوظيفية للموقع المسؤول واستغلاله للمصلحة الشخصية للمسؤول ، وهذا يعني فتح الباب أمام شيوع الفساد وانتشاره

في الحلقات الأدنى منه باعتبار أن فساد المسؤول الأعلى يشجع الأدنى لممارسة وتعاطي الفساد إن خيانة الأمانة الوظيفية الوطنية المسؤولة يجب أن تردع بأقصى وأقسى المحاسبات القانونية لتصبح درساً لمن يُعتبر ويرعوي

ثالثاً : أما بالنسبة الى شيوع تعاطي النفاق والرياء السياسي بين مثقفي الأمم من خلال وسائل الأعلام يعتبر هذا العامل من أكثر الأسباب خطراً يؤدي الى سقوط واندثار الأمم في مرحلة ما عندما يستفحل هذا الفعل ويتحول الى مهنة تحترف تحت واجهات مختلفة الألوان ، لأن هؤلاء في الحقيقة هم من يصنعون خائني الأمانة والفاسدين وسراق المال العام من خير وجه حق ، وهم من يفسدون القضاء بأقلامهم وكلامهم ونفاقهم ورياءهم النزق غير المسؤول المنطلق من خلفيات المصلحة الشخصية أو من خلفيات عنصرية قومية أو دينية أو مذهبية أو حزبية أو أية خصوصيات اخرى يشترك بها مع المسؤول الفاسد من دون مراعاة للأعتبارات الوطنية والأخلاقية ، لأن الفساد هو فساد مهما كانت طبيعته وحجمه وشكله ، لا دين ولا قومية ولا مذهب له وهنا نستطيع القول أن ثالثاً هو من ينتج ثانياً + أولاً ، وعليه ولغرض القضاء على أسباب سقوط وانهيار واندثار الأمم علينا بالقضاء على النفاق والرياء السياسي والمتعاطين معهما وذلك بالتصدي لهم بنشر الثقافة المناقضة

لثقافة النفاق والرياء السياسي التي تبرر وتبرئ الفساد وخيانة الأمانة الوظيفية الوطنية المسؤولة ليتم من خلال ذلك حماية وصيانة الأمانة الوظيفية الوطنية المسؤولة في مؤسسات الدولة من استغلالها ، وبالتالي حماية وصيانة القضاء من الفساد لأعادة قوة سلطة القانون الى مؤسسات الدولة وفرض هيمنتها واحترامها على أفراد المجتمع من دون النظر الى الموقع والمكانة الاجتماعية والموقع المسؤول للفرد وفقاً لمبدأ ليس هناك من هو فوق القانون وانما الجميع متساوين في الحقوق والواجبات هذه الشريحة الرثة ، شريحة المنافقين والمرائين ومن المثقفين منهم تحديداً هي من أكثر الشرائح الاجتماعية خطراً على إفساد السلطة وتنشأة الديكتاتوريات السياسية ، حيث تحول الجاهل الساذج بالتطبيل والتزمير لأخطائه الى سلطان جائر متغطرس لا يفلت وطني شريفٍ من جوره وظلمه وشره المثقفون المنافقون المراؤون هم صناع الطغاة الديكتاتوريون المجرمون لأنهم هم من يؤسسون لثقافة تمجيد وعبادة الفرد المسؤول وتأليهه ويحولون الأحمق الى جبار متغطرس لا يرى الآخرين أكثر من مجرد حشرات وضيعة وحقيرة تحت أقدامه ليدوس عليها من دون رحمة ورأفة

مع الأسف الشديد هذا هو ما يجري الآن في العراق ، يجري بخطى حثيثة من قبل الكتاب المثقفين المنافقين والمرائين من وعاظ السلاطين

ومحامي الشيطان عملية اعلامية جبارة لصنع الفاسدين وسراق المال العام ومرتكبي الجريمة المنظمة وغسيل الأموال وتهريبها الى خارج الوطن صحيح قد أصبح الفساد هو السِمة الغالبة في مؤسسات شبه الدولة العراقية الحالية ، إلا أن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال خلو تلك المؤسسات من الشرفاء الوطنيين المخلصين الأحرار من الذين يعملون ويواصلون الليل بالنهار من دون كلل وملل في مواقهم بجد واخلاص لملاحقة وكشف الفاسدين وأساليبهم الشيطانية الذين يحاولون سَتر عورتهم التي باتت مكشوفة بورقة التوت المتهرئة الفاسد يكون سارقاً حتماً بالنتيجة ، ولكن ليس بالضرورة أن يكون كل سارق فاسداً في نظر القانون ، إن أشنع أنواع الفساد الذي يشكل جريمة جنائية ترتقي الى مستوى جريمة الخيانة العظمى هو خيانة الأمانة الوظيفية المسؤولة واستغلالها لأغراض منفعية شخصية ( استغلال الموقع المسؤول للأنتفاع الشخصي ) لأنه ليس مضطراً لها ، وهذه هي عِلة المسؤول الكبير في العراق ، بينما السارق الذي يسرق بدافع العوز والجوع والحاجة الملحة من أموال الدولة أو من ممتلكات الآخرين لا تشكل سرقته هذه جريمة جنائية يحاسب عليها القانون بحسب وجهة نظرنا الشخصية لأنه مضطراً عليها على العكس من المسؤول الكبير ليعرف الجميع أن الدولة تُمهل ولا تُهمل مهما طال الزمن ، وإن الجرائم

**الجنائية لا تسقط لا بالتقادم ولا حتى بالوفاة إن يوم الحساب قادم سوف ياتي لا محال عاجلاً أم آجلاً**

**الأخلاق أساس الحضارات الراقية**

**فنحن عباد الله: أمة ذات مجد وأصالة وذات تاريخ وحضارة خضعت لنا الدنيا كلها ليس بسطوة السلاح وإنما بسمو الروح والأخلاق عاشت المخلوقات والكائنات في ظل حضارتنا يغشاها الرحمة والعدل والمساواة**

**إنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلاقٌ مُطهَّرةٌ**
**فالدّينُ أوَلُّها وَالعَقْلُ ثانِيهَا**
**وَالْعِلْمُ ثالِثُّها وَالحِلْمُ رَابعُها**
**وَالْجُودُ خَامِسُها وَالْفَضْلُ سَادِيهَا**
**وَالْبرَّ سَابعُها وَالصَّبْرُ ثامِنُّها**
**وَالشُكرُ تاسِعُها وَاللّينُ بَاقِيهَا**
**وَالنّفسُ تَعلَم أنّي لا أُصادِقُها**
**وَلَسْتُ أرشُدُ إلا حِيْنَ أعْصِيهَا**
**وَالعَينُ تَعلَمُ مِن عَينَي مُحدِّثِها**
**إن كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أوْ مَنْ يُعَادِيهَا**

**العنصر الأول: الإسلام رسالة الأخلاق**

عَنْ أبى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق » أخرجه البيهقي

ولما سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ماهية الدين أجاب بأنه حسن الخلق عن نواس بن سمعان: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم ما البر؟ قال: حسن الخلق؟ قال: ما حك في نفسك و كرهت أن يعلمه الناس أخرجه البيهقي في الشعب

وجعل جائزة الأخلاق الحسن القرب منه يوم القيامة جابر بن عبد الله، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّؤونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ رواه الطبراني في مكارم الأخلاق والترمذي

أنها أساس بقاء الأمم: فالأخلاق هي المؤشر على استمرار أمة ما أو انهيارها، فالأمة التي تنهار أخلاقها يوشك أن ينهار كيانها، كما قال شوقي:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ♦♦♦ فأقم عليهم مأتما وعويلا

ويدل على هذه القضية قوله تعالى :( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ) ]الإسراء:

العنصر الثاني: انهيار الأمم والحضارات سببه تدهور الأخلاق

أمة الحبيب الأعظم – محمد صلى الله عليه وسلم- إن الناظر إلى الأمم و الحضارات البائدة سواء في العصور القديمة أو الحديثة ليرى حقيقة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء أن السبب الرئيس لانهيارها ليرجع إلى انهيار أخلاق أفرادها وهذا ما قرره الله تعالى في كتابه عندما حدثنا عن الأمم السابقة و يمكن أن نلخص لكم أسباب الانهيار في عدة نقاط

أولا الكفر بالله تعالى ورسله :فما أهلك الله تعالى قوم نوح وما أباد الله تعالى قوم عاد وأهلك الله تعالى فرعون وقومه إلا بسبب كفرهم قال تعالى :( كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ) ]آل عمران: ١١[

وتأمل عبد الله إلى تلك الحضارة الزاهية التي بلغت أوجها وكان سكانها يعيشون في رغد رفاهية وفي أمن وأمان ولكنهم بدلوا نعمة الله كفرا فاحلوا بأنفسهم دار البوار إنها حضارة سبأ قال عز وجل :( ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ) ]سبأ: ١٧[

ثانيا التكذيب لهدى الرسل :ومن أسباب انهيار الحضارات التكذيب بما أنزل الله تعالى على رسله و أنبيائه قال تعالى :( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ

لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ) ]الفرقان: ٣٥ - ٣٩[

ثالثا الظلم :وهو سوس ينخر في الأمم والشعوب متى تسرب ذلك السوس سوس الظلم إلى أمة أو حضارة إلا جعل عاقبة أمرها خسر وأذاقها الله تعالى الدمار والزوال قال تعالى :( وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ) ]يونس: ١٣[

رابعا الفساد في الأرض :ومن الأخلاق المرذولة الفساد فمتى استشري في جسد أمة أيا كان ذلك الفساد سياسيا أو اقتصاديا أو أخلاقيا فهو نذير شؤم ورسول دمار قال العزيز الغفار قال تعالى :( ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ) ]الأعراف: ١٠٣[

خامسا انتشار الرذائل وفساد الأخلاق :فالميوعة والانحراف عن الخلق الجميل وكذلك الانجراف مع سيل الشهوات سبب لزوال الأمم والحضارات قال رب الأرض والسموات عن قوم لوط :( وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ) ]الأعراف: ٨٠،

**العنصر الثالث الأخلاق سبب قيام الحضارات**

**عباد الله: إن الناظر إلى تاريخ الأمة الإسلامية يجد أن مصدر نهوضها وسمو قدرها وتغلبها على الحضارات السالفات إنما يرجع إلى سمو أخلاق أفرادها**

**وإذا أردنا أن نبين اهم الأخلاق التي خلقت الحضارة الإسلامية يمكن أن نجملها لكم في عبارة رقيقة رقراقة وإشارة لطيفة في أسس**

**أولا: العبودية لله وحده لا شريك له :فالله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت وأن العبودية له وسام شرف على صدر كل مسلم ومسلمة ومتى تحرر الإنسان من عبودية غير الله ساد وعز ومكنه الله تعالى في الأرض وتأمل كيف انصهرت نفوس الصحابة في بوتقة الإيمان فخلقت منهم خلقا أخر فتح البلاد وأذل القياصر والأكاسرة وعبر التاريخ تحققت في الأمة الإسلامية قضية التمكين في الأرض؛ فسادوا الأمم وقادوها إلى الحق والرشد، وهزموا فارس والروم عندما تمسكوا بمنهج الله تعالى ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) ]النور: ٥٥[**

**ولنأخذ مثالا تطبيقيا لمبدأ العبودية لله تعالى أساس الملك والحضارة**

وانظر إلى ربعي بن عامر رضي الله عنه يوم قدم إلى أبهة الملك، بما فيها من متاع الدنيا وزخرفها، فوطئ الطنافس بأقدامه، وخرقها برمحه، واستغنى واستعلى بإيمانه، وقال قولته المشهورة التي ما تزال تدوي في سمع الزمان: ((جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة((

دوت هذه الكلمات في إيوان كسرى وانطلقت في آفاق الكون نبهت الناس إلى العدل والتواضع والقيم الرفيعة التي يدعو لها الإسلام فتناقلوها وتناقلها الناس بينهم، فكانت الكلمة هي مقدمة الفتح الإسلامي التي هزت إيوان كسرى وفتحت فارس ( الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) ]الحج: ٤١[

ثانيا الإحسان :وللإحسان أثر كبير في الرقي الإيماني والحضاري فالمسلم يرى الله تعالى في كل شيء أعني يراقب الله في كل أحواله وأفعاله ومتى كانت المراقبة لله وحده فلن ترى خللا في هذه الحياة لا غش ولا رشوة ولا ظلم ولا زنا ولا فجور فمراقبة الله سيف يقوم الأخلاق والأفعال ( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ

مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ) ]يونس: ٦١[

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ

خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً

وَلا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيْبُ

لَهَوْنَا لَعَمْرُ اللهِ حَتَّى تَتَابَعَتْ

ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوْبُ

فالحاكم يعدل في رعيته لعلمه أن الله أقدر عليه وأن يد الله فوق يده والموظف ينتج ويعمل لعلمه أن الله تعالى سائله عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، والتاجر يتجار ويضرب في ربوع الأرض فلا يغش ولا يخدع لعلمه أن الأرزاق مقسومة وأن البركة في الحلال لا في الحرام فالكل يشاهد قيوميته لله تعالى ويراقبه

كان عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-معه بعض أصحابه يسيرون في الصحراء بالقرب من المدينة، فجلسوا يأكلون، فأقبل عليهم شاب صغير يرعى غنمًا، وسلَّم عليهم، فدعاه ابن عمر إلى الطعام، وقال له: هلمَّ يا راعي، هلمَّ فأصب من هذه السفرة

فقال الراعي: إني صائم

فتعجب ابن عمر، وقال له: أتصوم في مثل هذا اليوم الشديد حره، وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟!

ثم أراد ابن عمر أن يختبر أمانته وتقواه، فقال له: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها فتفطر عليها؟

فقال الغلام: إنها ليست لي، إنها غنم سيدي

فقال ابن عمر: قل له: أكلها الذئب

فغضب الراعي، وابتعد عنه وهو يرفع إصبعه إلى السماء ويقول: فأين الله؟!فظل ابن عمر يردد مقولة الراعي: (فأين الله؟!) ويبكي، ولما قدم المدينة بعث إلى مولى الراعي فاشترى منه الغنم والراعي، ثم أعتق الراعي

مراقبة الله: فالله - سبحانه - مُطَّلع على جميع خلقه، يرانا ويسمعنا ويعلم ما في أنفسنا، ولذا يحرص المسلم على طاعة ربه في السر والعلانية، ويبتعد عمَّا نهى عنه، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإحسان، فقال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [متفق عليه]

ثالثا: خلق الرحمة :والرحمة أساس الإيمان وعمود الرسالة كما قال الله تعالى :( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ) ]الأنبياء: ١٠٧[

ورحمة الإسلام رحمة عامة شاملة تشمل جميع العوالم دون استثناء حتى مع الأعداء روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً( وقد أوضح ذلك في شخصه -صلى الله عليه وسلم- وفي تعاملاته مع أصحابه وأعدائه على السواء؛ حتى إنه صلى الله عليه وسلم قال محفّزًا ومرغّبًا على التَّخَلُّق بهذا الخُلق وتلك القيمة النبيلة عَنْ جَرير بْن عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُوْلُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «لاَ يَرحَم الله مَنْ لاَ يَرحَم الناس أخرجه البخاري

وكلمة الناس لفظة عامَّة تشمل كُلَّ أحَدٍ، دون اعتبارٍ لجنس أو دين، وفي ذلك قال العلماء: هذا عامٌّ يتناول رحمة الأطفال وغيرهم

وقال ابن بطال: فيه الحضُّ على استعمال الرحمة لجميع الخَلْق؛ فيدخل المؤمن والكافر والبهائم؛ المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدِّي بالضرب فالمسلم يرحم الناس كافَّة، أطفالاً ونساءً وشيوخًا، مسلمين وغير مسلمين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ :« الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ »أخرجه أحمد

بهذه الرحمة عاشت البشرية في ظل الحضارة الإسلامية فقد عاش اليهود والنصارى وغيرهم حياة أمنة هادئة لا تعرف الظلم ولا الشدة والقسوة فلقد مرّ عمر الفاروق رضي الله عنه يومًا بشيخ يهودي يسأل النّاس، فتألّم لذلك قائلاً والله ما أنصفناك يا رجل، أخذنا الجزية منك شابًا قادراً، ثمّ تركناك وحيدًا في شيخوختك، ففرض له من بيت مال المسلمين ما يكفيه ويسد حاجته في الحياة

وفي ذلك كتب أبو يوسف: أن هشام بن حكيم بن حزام أحد الصحابة - رضي الله عنه - رأى رجلاً - وهو على حمص - يشمِّس ناسًا من النبط في أداء الجزية، فقال: ما هذا؟

سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إن الله - عز وجل - يعذِّب الذين يعذبون الناس في الدنيا)) رواه مسلم

رابعا خلق العدل :و بالعدل قامت السماوات و الأرض فالعدل يتولى تنظيم العلاقات بين الناس المادية والأدبية والسياسية والاجتماعية وغيرها ضمانا لحقوقهم ، لذا فإن العدل يدخل في كافة الشرائع ، أي: في جميع المعاملات وقد أمر الإسلام به ونهى عن ضده فهو المحور الأول الذي يرتكز الإسلام عليه قال تعالى ( إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) ]سورة النحل: ٩٠[

( إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ) ]النساء:

إن الجميع متساوون أمام قانون الكتاب والسنَّة، ولا بد من تنفيذه فيهم بدرجة واحدة من أدنى فرد في الدولة إلى القادة والحكام، وليس فيه موضع لمعاملة شخص ما معاملة مختلفة عن غيره، وكما جاء في القرآن الكريم أن الله تعالى هدى نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - لأن يعلن : (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ) ]الشورى: ١٥]، يعني أنني مأمور بالإنصاف دون عداوة، فليس من شأني أن أتعصبَ لأحد أو ضد أحد، وعلاقتي بالناس كلهم سواء، وهي علاقة العدل والإنصاف، فأنا نصيرُ مَن كان الحق في جانبه، وخصيم مَن كان الحق ضده، وليس في ديني أي امتيازات لأي فرد كائنًا مَن كان، وليس لأقاربي حقوق وللغرباء عني حقوق أخرى، ولا للأكابر عندي مميزات لا يحصل عليها الأصاغر، والشرفاء والوضعاء عندي سواء؛ فالحق حق للجميع، والذنب والجُرْم ذنب للجميع، والحرام حرام على الكل، والحلال حلال للكل، والفرض فرض على الكل، حتى أنا نفسي لست مستثنًى من سلطة القانون الإلهي وفي جانب العدل مع المخالفين في الدين والعقيدة لم ترَ البشرية عدل كعدل الإسلام وسمو أخلاق أتباعه عندما التزموا دينهم هذا ابن عمرو

بن العاص والي مصر يضرب ابن القبطي بالسوط وقال له: أنا ابن الأكرمين! فما كان من القبطي إلا أن ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في المدينة وشكا إليه، فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنه، وأعطى السوط لابن القبطي وقال له: اضرب ابن الأكرمين، فلما انتهى من ضربه التفت إليه عمر وقال له: أدرها على صلعة عمرو فإنما ضربك بسلطانه، فقال القبطي: إنما ضربتُ مَن ضربني ثم التفت عمر إلى عمرو وقال كلمته الشهيرة: يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟

خامسا الوفاء :ومن أسس نهوض الحضارة الإسلامية خلق الوفاء بكل ما تحمله الكلمة من معاني ودلالات وإشارات

قال الله تعالى و هو يصف أهل الجنة من المؤمنين الخلص ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ) ]المعارج: ٣٢[، وقال في سورة (المؤمنون) في صفات المؤمنين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون :( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ) ]المؤمنون: ٨[، وقال في علامات الصادقين المتَّقين في سورة البقرة :( وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ) ]البقرة: ١٧٧[

قبل غزوة بدر يخبره حذيفة بن اليمان، والحديث في صحيح مسلم: أن كفَّار قريش قد أخذوه قبل أن يدخل المدينة هو وأبا حُسَيل، فقالوا إنكم تريدون محمدًا، قلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عَهْد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معك يا رسول الله

فماذا قال لهما صاحب الوفاء يا تُرى؟ ماذا قال لهما مَن بعثه الله ليتممَ به مكارم الأخلاق؟ ومع أنه كان في أشد الحاجة إلى الرجال ليقاتلوا معه ضد المشركين، المشركين الذين أخرجوه من مكة، الذين سفكوا دماء المسلمين واستحلوا أموالهم، وعذبوهم أشد العذاب، وبالرغم من كلِّ هذا، قال لهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((انصرفا نَفِي لهم بعَهْدِهم، ونستعين الله عليهم((

وروى مسلمٌ عن بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميرًا على جيشٍ، أو سريَّةٍ، أوصاه في خاصتِه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: (اغْزُوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، اغزوا ولا تغُلُّوا، ولا تغدِروا (أي: ولا تنقُضوا العهد)، ولا تُمَثِّلوا (أي: لا تشوِّهوا القتلى)، ولا تقتلوا وَلِيدًا (أي: صبيًّا)، وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين، فادعُهم إلى ثلاثِ خصالٍ، فأيَّتهنَّ ما أجابوك، فاقبَلْ منهم، وكُفَّ عنهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام) (مسلم(

بهذه الأخلاق فتح المسلمين بلاد الفرس وبلاد الروم، وإسبانيا وفرنسا وغيرها، لذلك قال سيد قطب ولقد انتصر محمد حين انتصر، حينما جعل من المصحف نسخًا كثيرة، لا أقول: مطبوعة في الأوراق، ولكن مزروعة في قلوب الرجال، فتحركوا بهذا القرآن يمشون على الأرض، حتى فتح الله على أيديهم ووصل الدين إلى ما وصل إليه الدعاء

فساد الأخلاق يدمر الحضارة

الأخلاق لغة :(جمع خُلُق، وهو السجية والطبع( اصطلاحًا هي حالة نفسية تترجَم بالأفعال؛ أي: إن الأخلاق لها جانبان؛ جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهري فالسجايا هي الطباع، والسلوك هو الفعل المترجم إلى هذه الطباع

موت الأمم قد يعني اختفاءها المادي من الوجود، وقد يعني أنها على الرغم من وجودها على قيد الحياة، فإنها بلا وزن ولا تأثير، ولا دور فاعل في عالم التقدم والمكانة بكل معانيها وسط الأمم الأخرى ومقارنة بها

عوامل انهيار الحضارات:

إن قيام الحضارات أو انهيارها عبر التاريخ يدعو إلى التفكير في الأسباب ودراسة العوامل والمقومات التي تجعل حضارةً ما تزدهر أو

**تموت، وفي هذا الإطار ظهرت مجموعة من النظريات عبر التاريخ نذكر منها ما يلي:**

**نظرية ابن خلدون:**

**يرى ابن خلدون أن الأمم أو الدول لها دورة حياة مثل الإنسان؛ أي: تولد ويقوى عودها، وتشتد وتهرم، ثم تموت، وتصوُّره يتضمَّن خمسة أطوار:**

**الطور الأول :طور القيام والنشأة**

**الطور الثاني :هو ما يسميه طور الاستبداد والاستئثار بالسلطة والسلطان**

**الطور الثالث :طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك**

**الطور الرابع :طور الخنوع والمسالمة والتقليد للسابقين**

**الطور الخامس :هو الإسراف والتبذير واصطناع قرناء السوء وإبعاد الصالحين الناصحين**

**نظرية توينبي:**

**وتعرف باسم نظرية التحدِّي والاستجابة؛ فالحضارة حسب هذه النظرية تقوم وتزدهر استجابة لتحديات محددة؛ سواء كانت هذه التحديات مادية أو اجتماعية، فإن وصلت الحضارة إلى مرحلةٍ تَعجِز فيها عن الاستجابة لهذه التحدِّيات، تكون قد دخلت طور الانهيار لكن المهمَّ في هذه النظرية**

**أن هذا العجز عن الاستجابة الذي تصل إليه الحضارة، سببه الأساسي حسب توينبي هو فِقدان الحضارة لقوَّتها الأخلاقية والقيم الرُّوحية؛ أي: انهيار القيم الأخلاقية والدينية وبناء على نظريته يقسم توينبي مراحل تطور الحضارات إلى خمس مراحل:**

- **مرحلة الميلاد والنشأة**
- **مرحلة الازدهار والتوسع السريع**
- **مرحلة الجمود والعجز عن التطور والإبداع والتجديد**
- **مرحلة الانحلال والتدهور الأخلاقي**
- **مرحلة السقوط والانهيار**

**نظرية ويل ديورانت:**

**حسب رأيه فالحضارة تقوم بالضرورة على مقومات محددة وانهيار واحد، ومن هذه المقومات يمكن أن يدمر الحضارة ويقود إلى انهيارها، وهذه المقومات هي:**

- **وجود نظام سياسي**
- **وجود شكل من أشكال الوحدة في اللغة؛ كي تكون وسيلة اتصال وتفاعل عقلي وثقافي**
- **لا بد من وجود معايير قيمية وأخلاقية متعارف ومتفق عليها؛ كي تكون موجهًا وهاديًا وحافزًا**

•وجود دين أو عقيدة أساسية حاكمة

•وجود نظام تعليمي ينقل القيم والثقافة إلى الأجيال الجديدة

الأخلاق والحضارة:

من خلال هذه النظريات نجد أن عامل الأخلاق له تأثير في قيام الحضارة أو اندحارها، ولله دَرُّ الشاعر حين قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ♦♦♦ فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد أشار العلامة ابن خلدون إلى أن السلوك الأخلاقي المنحرف هو طريق الانهيار الحضاري، وذكر أن رقي الأمم لا يتحقق بتوافر القوة المادية، أو رقي العقل، بل بتوافر الأخلاق الحسنة، والشيء نفسه ذهب إليه الفيلسوف جوستاف لوبون؛ حيث إنه يقول: إن الانقلاب يحدث في حياة الأمم بالأخلاق وحدها، وعلى الأخلاق يؤسس مستقبل الأمة وحياتها الحاضرة، وخط العقل والقلب في بقاء الأمة أو سقوطها قليل جدًا، وعندما تذوى أخلاق الأمة تموت مع وجود العقل والقلب اللذين ربما يكونان متقدمين في نواح عملية كثيرة

والتاريخ أكبر شاهد على أن تدهور الأخلاق كان له دور كبير في سقوط الحضارات، وأقرب مثال لنا هو ضياع الأندلس الذي قال فيه ابن خلدون: إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة، حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل، وسلوك طريقها، وهذا ما حدث في الأندلس وأدى فيما

أدى إلى ضياعه، وصدق الله العظيم القائل :( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا )

هذه هي قيمة الأخلاق، فالمسلمون تخلَّفوا عندما نسوا خُلُق الإسلام، واختزلوا دينهم في الشعائر فقط، وفرَّطوا في جانب مهمٍّ من رسالة الإسلام، ألا وهي الأخلاق التي هي جزء مهمٌّ من العبادة التعامليَّة التي كانت سببًا في فتح أقطار مهمَّة من العالم، فقط عن طريق التجار الذين تميَّزوا بالأخلاق الحميدة في معاملاتهم، وما سقطنا إلا عندما سقطنا في مستنقع المنكر، وهذا ما استنتجه كوندي وهو أحد كتاب النصارى؛ حيث قال العرب هووا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والمرح والاسترسال بالشهوات

إن الأخلاق الفاضلة هي أهم ما تتفوَّق به الأمم وتعلو به عن غيرها، والأخلاق تعكس حضارة الأمة، وبقدر ما تسمو أخلاق الأمة تعلو حضارتها، وتجذب الأنظار إليها، وبقدر ما تندحر أخلاقها وتضيع قيم الفضيلة فيها، تهوي حضارتها وتذهب هيبتها بين الأمم، وكم سادت أممٌ رغم شركها أو كفرها بالله، وعلت على غيرها بتمسكها بمحاسن الأخلاق كالعدل وحفظ الحقوق وغيره، وكم ذلت أمة ولو كانت مسلمة وضاعت وقهرت بتضييعها لتلكم الأخلاق؛ حيث انتشر فيها الكذب والخيانة والظلم والغش

مشكلة الأخلاق تبدأ من الأفراد فالأسرة فالمجتمع، وهي لَبنة أساسية في بناء الإنسان قبل بناء الحضارة هذا الإنسان منذ ولادته يتشرَّب الأخلاق مِن محيطه الذي يجب تصفيته وتطهيره، وحمايته من التلُّوث بالمجاري التي تفتك بهذه اللبنة من إعلامٍ يحرص على نشر ثقافة الانحلال، وتغييب الفضيلة ونشر ثقافة مادية أساسها الغاية تبرِّر الوسيلة، وبرامج تعليمية فارغة لا تليق بمن يريد أن يبني حضارة تقود العالم، ومن العديد من المحسوبين على المثقفين وهم بيادق لمنظمات ليس من مصالحها أن تَنهض

فيا أخي الكريم وأختي الكريمة، يا من يبكي على أمجاد الأجداد، ويرغب في عودة العزَّة، ويحترق من أجل إزالة مرارة الإذلال، استثمر في ميدان الأخلاق فهو في متناولك، لكن ليس الأمر باليسير؛ فأي رسالة فضيلة ستلقى استهجان القريب قبل البعيد، ولتنسى قول حبيبك صلى الله عليه وسلم: ((إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم))؛ (رواه أبو داود وأحمد من حديث عائشة، وصححه الألباني(

القاموس المحيط، مادة: خلق علم الأخلاق الإسلامية؛ أ د مقداد يلجن، ط ٢، نشر دار عالم الكتب، ط دارالفكر بيروت ص ٣٤

[3]مجلة البحوث الإسلامية، فساد السلوك من مراحل سقوط الحضارات، الجزء رقم ٢

**سقوط الدول في مقدمة بن خلدون**

**سقوط الدول في مقدمة بن خلدون احتجاب الملك واستبداد الأبناء بالحاشية وتسكين التمردات بالعطاء**

**يقدم لنا العلامة عبدالرحمن بن خلدون رحمه الله: نظريته حول سقوط الدول الأسباب والآثار، حيث بنى نظريته في هذا الصدد على استقراء تاريخي –كما هو منهجه في فلسفة التاريخ عموماً- غير أنه في نظريته لسقوط الدول وطرق الخلل كيف تأتي عليها مشيراً أكثر من مرة إلى أهم الأسباب، والتي لاحظها من خلال تأمله في تاريخ الدول والامبراطوريات، بل وعلى مستوى سلطنات الأقاليم، فوجد أنها قد تختلف في بعض جزئيات التفاصيل، لكن الأسباب البارزة ظلت هي هي، على أني سأحاول هنا أن أقدم للقارئ هذه النظرية ولكن بأسلوبي - تبسيطاً لفهم القارئ- كون ابن خلدون رحمه الله قدمها بلغة أدبية في ألفاظها جزالة وبعضها غريبة عن ذهن القارئ المعاصر، كما أني سأستعرض نظريته وفقاً لسيره في ترتيب الفصول لكني سأحول اجتناب التكرار كما أني سأجتهد في تقديم بعض الأفكار عن بعض بدون إخلال، وهدفي هنا تنسيق الفكرة لدى القارئ فقط فأقول:**

**السبب الأول: الظلم**

بدأ ابن خلدون نظريته بفصل خاص تحت عنوان (الظلم مؤذن بخراب العمران) مستعرضاً صوراً لانواع الظلم مؤكداً أن الفسق –ارتكاب المعاصي الكبيرة –بصورة فردية لا تؤدي إلى خراب العمران بصورة سريعة كما هو حال الظلم نعم قد يكون ارتكاب المعاصي الكبيرة مؤذناً بخراب العمران، ولكن في حالة واحدة وهي إذا ارتكبت المعاصي من قبل النافذين في الدولة ولم تستطع يد القانون أن تطالهم، كونهم محميين بمكانتهم ونفوذهم، وبالتالي فهذه الحالة تكون الدولة ساعية في طريقها إلى السقوط وضرب مثلاً بقصة رمزية قدمها المويذان مستشار الملك بهرام الفارسي وذلك عندما سمع الملك بهرام صوت البوم فسأل مستشاره: هل لي أن أفهم كلامهما؟! أجابه قائلا: (إن ذكر البوم رام نكاح انثى فشرطت عليه عشرين قرية خاربة في أيام بهرام، فقبل شرطها وقال لها إذا دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية، وهذه سهل مرام وهنا تنبه الملك ثم خلا بالمويذانا المستشار فقال له: أيها الملك: لا عز للملك إلا بالشريعة والرجال، ولا قوام للرجال إلا بالمال، ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة ولا عمارة إلا بالعدل أيها الملك: عمدت إلى المزارع والأرض فانتزعتها من أصحابها الذين يؤدون الخراج، وأعطيتها لحاشيتك فتركوا عمارتها وسومحوا بالخراج لقربهم من الملك فاشتد المكس/ الضرائب على الباقين فتركوا البلاد وهاجروا فقلت الأموال فهلك

**الجند جوعاً فطمع بك الخصم المتربص) وهنا سارع الملك إلى رد الحقوق فانتعش اقتصاد البلد وعادت إليه هيبته**

**السبب الثاني: الشيخوخة**

**أوضح أن الدول تشبه الإنسان في مشوار حياته طفولة، شباب وفتوة، كهولة، شيخوخة، وهذه الأخيرة مصطلح الهرم، مؤكداً أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع وقد يأتي البعض من الأبناء أو حاشية الملك فيسعى جاهداً لتلافي السقوط، ظناً منه أنه يعالج الداء وهيهات فإن الهرم لا علاج له أبداً ولكن كيف تكون بداية الهرم بالدولة؟**

**يجيب ابن خلدون قائلاً: من المعلوم أن التغلب على الدولة يكون باليد أو العصبية القبلية، وهنا تكون الدولة أقرب إلى البساطة عموماً فلقاء الناس بها سهل والتعامل معهم يغلب عليه الصدق والعفاف وهذه البساطة تؤدي إلى تخفيف الضرائب إذ لا حاجة لها ومع مرور الزمن تتجه الدولة نحو الملك/ الترف والدعة، وهذا يعني ظهور الحجّاب إلا من الخاصة ثم يستبد في الأمر فتحّرم/ يحتجب الملك عن الخاصة تاركاً أمر الخاصة للأبناء، فيستبد الأبناء بصورة أشد، لأنهم تربوا في حضيرة ترف ودعة، وهيهات أن يخالفوا سيرة البلاط التي تربوا عليها ولدوا والمعلقة الذهبية في أفواههم وعندما يستبد الأبناء بالحاشية المقربين من الملك ممن شاركوا في قيام الدولة، يلجأ كبار الحاشية والمقربين إلى**

نفس الترف والدعة كما يسعون إلى جمع المال بطرق شتى وهنا تقل العصبية الحامية للدولة، فيلجأ الملك إلى جدع أنوف العشيرة والأقارب بمصادرة ممتلكاتهم وإلى القتل والإهانة وسلب المناصب فيقلون فتضعف هيبة الدولة فيلجأ الملك إلى تجميع (موالي) جدد/ موالي النعمة، لكنهم أقل شكيمة من سابقيهم، كونهم (مرتزقة) غير أن هؤلاء البطانة الجدد سرعان ما يتلقون الإهانة من الأعياص/ وجهاء القبائل ومشائخها فتسقط أبهة الدولة!! فيقوم صاحب الدولة بضرب الأعياص وتدميرهم دفاعاً عن موالي النعمة، لكن سرعان ما تأتي الإهانة من الأبناء لموالي النعمة/ البطانة والحاشية الجديدة، وهنا تقل الحماية في الأطراف والثغور، فيتجاسر الرعايا والأعياص على الأطراف بسبب غياب الدولة الحامية وكثيراً ما يتدرج الأمر إلى أن يصل الأعياص إلى مركز الدولة والنتيجة: إن لم يكن استيلاء مطلق، فإن تقسيم الدولة إلى دولتين فأكثر هو سيد الموقف على أن ابن خلدون لم يأت بما سبق من الاستقراء ككلام نظري وإنما استشهد بوقائع تاريخية منها موقف لسليمان بن عبدالملك الذي أمر بقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير في الأندلس وكانت النتيجة سقوط الأندلس وأفريقيا إلى أن يقول: ويصل الضعف إلى مركز الدولة فتضعف البطانة نظراً للترف، فتضعف الدولة وتضمحل ويستدرك ابن خلدون قائلاً: قد يطول أمد الدولة/ المركز نظراً لانصياع

النفوس بالانقياد والتسليم بعد السنين الطويلة، حيث لا يعقل الجيل الجديد في المجتمع مبدأها ولا أوليتها، وإنما يعقلون التسليم لصاحب الدولة، وهذه الدينونة تجعل صاحب الدولة يستعيض عن العصبية والبطانة بهذه الدينونة التي استحكم فيها التسليم، كونه لا يرى عصيانا وخروجاً بل إن الجمهور يقف ضد الخارج، لكن أمر الدولة يبقى شأنه شأن حرارة البدن العادم للغداء إلى أن ينتهي، ولكل أجلٍ كتاب

السبب الثالث: هرم الدولة

كلما ظهر تمرد يتم تسكينه بالعطاء، فتفقد الدولة الأبهة وبالتالي يكون الوهن هنا قد لحق بالشوكة/ الجند والجيش فيظل صاحب الدولة يداري بالمال فيزيد الهرم فيسطوا أهل النواحي/ الأطراف نظراً للفشل، وهنا تكثر الجبايات في المركز والمكوس/ الضرائب ويمتد الظلم إلى حقوق الضعفاء تحت أي مبرر كما أن الجند يطالبون بزيادة العطاء/ الرواتب أسوة ببطانة الدعة والترف/ الحاشية المقربين فيكثر الإنفاق فلا تكفي الجبايات وهنا يتجاسر الجند على الدولة فتتلاشى إلى أن يضمحل الذبال في السراج إذا ذهب زيته

صورة أخرى

المنافسة بين أهل الدولة/ المقربين، وذلك عندما يرون استبداد صاحب الدولة بالمجد ورفض المشاركة بل يأنفها فيسعى إلى قطع أسباب

المشاركة ما استطاع ولو بإهلاك من شك فيه ولو من ذوي قرابته وربما أحس القرابة بهذا الشك فينزعوا إلى الأطراف فيلحق بهم أمثالهم فيبدأ سقوط الأطراف بهدف التضييق على بطانة الدولة حتى تسقط أو تنقسم، لأن الانقسام هو من أكبر مظاهر الدولة الهرمة ويستدرك ابن خلدون: قد يحصل أن الدولة تأخذ بمظاهر القوة والبطش لكنها أفاقة / قريبة الخمود أشبه بالسراج عند انتهاء الزيت منه فإنه يتوهج لكن سرعان ما ينطفئ

قال ابن القيم :في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله ، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله ، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله

قال عبد الله بن مسعود :كيف أنتم وقد ألبستم فتنة يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، وتجري على الناس حتى إذا جاء من يغيّرها قيل : هذا فتنة وهذا منكر

لماذا تموت الأمم والدول والحضارات؟

ما هي بالضبط اسباب سقوطها وانهيارها؟

هذه قضية كبرى، اهتم بها المؤرخون والمفكرون وعلماء السياسة عبر العصور واجتهدوا في تقديم الاسباب والعوامل التي تفسر موت الامم من زوايا وجوانب شتى الاهتمام بهذه القضية ليس مبعثه فقط محاولة الفهم والتفسير، ولكن لسبب آخر هو الاكثر اهمية

فهم اسباب انهيار وموت الدول والامم والحضارات يقدم الاجابة للتساؤل

**المقابل كيف تحيا الامم؟ أي كيف يمكن لها ان تتجنب مصير الانهيار والموت والفناء؟ بالضبط بنفس معنى ان فهم اسباب المرض ومعرفة اعراضه هو ضرورة اساسية لمعرفة العلاج ووصفه للمريض**

**وهذه قضية تهمنا بداهة في الوطن العربي اليوم على ضوء مظاهر التدهور والانهيار التي نشهدها في المرحلة الحالية التي تمر بها الامة ويستحيل ان نقدم ولو تلخيصا لكل ابعاد الجدل حول هذه القضية وما قدمه المؤرخون والمفكرون والعلماء من اجابات على هذه السؤال الكبير لكن سنقدم على الاقل لمحة عامة لما قدموه تعطي صورة عامة للجوانب الاساسية المثارة بهذا الخصوص وتقدم الافكار الكبرى التي طرحت**

**معنى موت الأمم**

**ماذا يعني بداية موت او انهيار الدول والامم والحضارات؟ قبل كل شيء، يجب ملاحظة ان «موت» الدول في بعض الحالات يكون علامة لحياة جديدة اكبر نقصد تحديدا عندما تذوب الدولة في كيان وحدوي اكبر شأنا واكثر قدرة ومنعة ومكانة وفي اوروبا مثلا يدور جدل واسع حاليا حول مصير ومستقبل الدولة في اوروبا في ظل تسارع الخطوات نحو قيام كيان اوروبي موحد كبير وبالمثل، لو ان الدول العربية الحالية او بعضها ذاب في كيان عربي اكبر، لن يكون هذا انهيارا او موتا للدولة بالمعنى المقصود، لكنه سيكون بالعكس ميلادا جديدا للأمة**

**موت الامم قد يعني موتها بالمعنى الحرفي المباشر، أي اختفاءها المادي من الوجود وفي تاريخ البشرية نماذج كثيرة لأمم وحضارات قامت وازدهرت ثم اختفت من الوجود لكن المثال الابرز الذي يرد فورا الى الذهن هنا هو دولة العرب والمسلمين في الاندلس التي عاشت لثمانية قرون كاملة متصلة ثم اختفت من الوجود**

**غير ان موت او انهيار الدول والامم ينصرف ايضا الى معنى آخر غير معنى الاختفاء المادي الفعلي الامم قد توجد على قيد الحياة، لكن بلا وزن ولا تأثير ولا دور فاعل في عالم التقدم والمكانة بكل معانيها وسط الامم الاخرى ومقارنة بها عموما، لنر كيف ناقش المفكرون والعلماء قضية موت وحياة الامم**

**مع ابن خلدون**

**أي نقاش لقضية تفسير انهيار وموت الدول والامم لدى المفكرين لا بد ان يبدأ من العلامة العربي الكبير ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع المعاصر في العالم كله ابن خلدون كان في طليعة المفكرين الذين ناقشوا القضية في عمله الخالد «المقدمة»، وقبل ان يتطرق اليها المؤرخون والمفكرون في الغرب بزمن طويل**

**وحقيقة الامر ان هؤلاء المؤرخين والمفكرين عندما ناقشوا القضية بعد ذلك تأثروا بشدة بابن خلدون وافكاره بهذه الدرجة او تلك كما سنرى**

**حالا ماذا يقول ابن خلدون اذن عن هذه القضية؟**

**في رأي ابن خلدون، الدول لها دورة حياة مثلها بالضبط مثل الانسان أي تولد، ويقوى عودها وتشتد، وتهرم، ثم تموت وبالنسبة اليه، الدولة تقوم على العصبية والعصبية في مفهومه ليست مرادفا للمعنى الضيق المباشر الذي يرد الى ذهن البعض، لكنها تعني بتعبيراتنا المعاصرة الروح الوطنية والقومية والعصبية التي تقوم عليها الدولة هي في رأيه تتعزز بالدين وهما متلازمان في رأيه ان «الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية« العلاقة الوثيقة بين الدين والعصبية في قيام الدول وفي تفسير قوتها لدى ابن خلدون هي مرادف لما نقوله اليوم من تلازم لا غنى عنه بين العروبة والاسلام**

**وابن خلدون قدم تصورا متكاملا لمراحل تطور الدول من قيامها حتى موتها هذا التصور يقوم على ان الدول تمر بخمسة اطوار:**

**الطور الاول: طور القيام والنشأة حيث «ان مجموعة من الناس اصحاب عصبية جاهدت وقاتلت حتى حصلت على الملك تجد انهم في المرحلة الاولى مجتمعين لان الملك حصل لهم جميعا فبينهم تعاون وتضافر وتلاحم»**

**والطور الثاني: هو ما يسميه طور الاستبداد والاستئثار بالسلطة والسلطان**

**والطور الثالث: طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك**

**والطور الرابع: طور الخنوع والمسالمة والتقليد للسابقين بحيث «يقول الانسان ان ما كان عليه آباؤه واجداده هو السليم»**

**والطور الخامس: هو الاسراف والتبذير واصطناع قرناء السوء وابعاد الصالحين الناصحين**

**وكما نرى، فان ابن خلدون قدم تصورا لمراحل الانهيار التدريجي للدول، وسبب الانهيار في كل مرحلة الى ان ينتهي الامر بزوال الدولة**

**بعض المفكرين العرب اخذ على ابن خلدون انه قدم نظرية لقيام وتطور الدول وموتها باعتبارها قدرا حتميا، ومن ثم فلا مجال لإصلاح او انقاذ الدولة من الموت فطالما ان هذه هي دورة الحياة الحتمية للدولة، فان المعنى الضمني المفهوم ان أي جهد او اصلاح لن ينقذها في نهاية المطاف من مصيرها المحتوم لكن الحقيقة ان هذا حكم تعسفي الى حد كبير ذلك ان حرص ابن خلدون على ان يحلل ويفسر اسباب وعوامل الانهيار التدريجي يعني بداهة ان معالجة هذه الاسباب وتجنب دواعي الانهيار هذه كفيل بأن ينقذ الدولة من الانهيار**

**وعلى العموم لو اعدنا قراءة هذا العرض المبسط جدا لتصور ابن خلدون، سنكتشف فورا الاسباب التي تقف في رأيه وراء انهيار وموت الدول**

**نظرية توينبي**

**المؤرخ البريطاني الكبير ارنولد توينبي من اكبر من قدموا اسهاما في دراسة القضية قضية انهيار الحضارات وهو بالمناسبة تأثر جدا بابن خلدون، وسجل بنفسه ذلك كتب يقول: ان المجال الذي اختاره ابن خلدون بجهوده العقلية يبدو انه كان سابقا فيه، فلم يطرقه احد من اسلافه ولم يكن له منافسون من معاصريه وتعد مقدمته في فلسفة التاريخ بلا شك اروع انجاز من نوعه ابدعه عقل في أي زمان او مكان توينبي قضى كل حياته الفكرية تقريبا في دراسة هذه القضية بالذات وقدم للفكر الانساني عمله الموسوعي الضخم «دراسة للتاريخ» في ١٢ مجلدا درس في موسوعته هذه قصة صعود وسقوط الامم والحضارات في العالم ودرس تحديدا قصة ٢٢ حضارة في تاريخ البشرية ذلك ان تاريخ البشرية بالنسبة لتوينبي هو تاريخ الحضارات وليس تاريخ الدول المتفرقة الصغيرة**

**ونظرية توينبي في قيام وصعود وسقوط الحضارات بسيطة للغاية يطلقون عليها «نظرية التحدي والاستجابة» بالنسبة اليه، الحضارات تقوم وتصعد استجابة لتحديات محددة سواء كانت هذه التحديات مادية او اجتماعية وفي تحليله ان الحضارة عندما تصل الى مرحلة تعجز فيها عن الاستجابة للتحديات التي تجابهها، فانها تدخل في مرحلة الانهيار**

**لكن ما الذي يجعل حضارة تعجز عن الاستجابة للتحديات؟ في رأي توينبي ان السبب الاساسي لهذا العجز هو عندما تفقد الحضارة قوتها الاخلاقية والقيمية والروحية، أي عندما تشهد انهيارا قيميا واخلاقيا ودينيا**

**في تحليل توينبي ان هذا الانهيار القيمي والاخلاقي والديني يقود الى الجمود، والى العجز عن الابتكار والتجديد والابداع، ومن ثم العجز عن مواجهة التحديات حين يحدث هذا، تشهد الامة او الحضارة ما يسميه توينبي «شرخ في الروح» يقود الى موت القدرة الروحية والاخلاقية على الابداع والتجديد ومجابهة التحديات هذه هي وباختصار شديد جدا ملامح نظرية توينبي في تفسير انهيار الحضارات وسقوطها وهو بناء على نظريته هذه، يقسم مراحل تطور الحضارات الى خمس مراحل ونلاحظ تأثره الشديد هنا بالتقسيم الذي قدمه ابن خلدون**

**-1مرحلة الميلاد والنشأة**

**- 2مرحلة الازدهار والتوسع السريع**

**-3مرحلة الجمود والعجز عن التطور والابداع والتجديد**

**-4مرحلة الانحلال والتدهور الاخلاقي**

**-5مرحلة السقوط والانهيار**

**اذن، جوهر نظرية توينبي يقوم على ان الامم والحضارات تموت اساسا**

بسبب عوامل داخلية وفي القلب من هذه العوامل الداخلية انهيار القيم والقوة الاخلاقية ولقد لخص هو بنفسه القضية برمتها في عبارة بليغة حقا عندما قال: «الحضارات لا تموت قتلا، وانما تموت انتحارا»

ونظرية ويل ديورانت

ايضا المؤرخ الامريكي العظيم ويل ديورانت مثله مثل توينبي قضى عمره في دراسة قصة تطور وصعود وسقوط الحضارات في تاريخ البشرية وليس غريبا ان النظرية التي خرج بها في تفسير انهيار وسقوط الحضارات والامم لا تختلف كثيرا عن نظرية توينبي، بل هي تكاد في الحقيقة تتطابق معها

ديورانت لخص بنفسه ملامح نظريته في مقال شهير له عنوانه «ما هي الحضارة؟« في تحليله ان هناك مقومات محددة تقوم عليها الحضارة بالضرورة هي:

-1وجود نظام سياسي

-2وجود شكل من اشكال الوحدة في اللغة كي تكون وسيلة اتصال وتفاعل عقلي وثقافي

-3لا بد من وجود معايير قيمية واخلاقية متعارف ومتفق عليها كي تكون موجها وهاديا وحافزا

-4وجود دين او عقيدة اساسية حاكمة

**-5وجود نظام تعليمي ينقل القيم والثقافة الى الاجيال الجديدة وفي رأي ديورانت، فان اختفاء او انهيار بعض هذه المقومات، واحيانا انهيار واحد منها فقط يمكن ان يدمر الحضارة ويقود الى انهيارها**

**وفي كتابات اخرى كثيرة، يضع ديورانت الانهيار الاخلاقي والديني والاخلاقي في مقدمة عوامل سقوط الحضارة يقول: «الحضارات العظيمة لا تنهزم الا عندما تدمر نفسها من داخلها والاسباب الاساسية لانهيار روما مثلا والحضارة الرومانية تكمن في شعبها واخلاقياته، وصراع فئاته وطبقاته، والاستبداد الذي عرفته وهكذا« ويقول ايضا: «قبل عصرنا الحالي، لا توجد امثلة في التاريخ لمجتمع استطاع ان يسمو اخلاقيا في حياته من دون مساعدة اساسية من الدين»**

*******

**وافكار اخرى**

**بالاضافة الى امثال هؤلاء المؤرخين والمفكرين العظام، هناك كثيرون جدا من الكتاب والمؤرخين الاخرين الذين ناقشوا القضية وادلوا بدلوهم فيها هذه بعض نماذج محدودة من اسهامات كتاب ومؤرخين توقفت عندها**

**ادوارد جيبون، مؤرخ ومؤلف لكتاب «انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية« جيبون حدد بدوره خمسة اسباب تفسر في رأيه انهيار**

**وموت الامم هذه الاسباب هي:**

**-1انهيار مكانة وقدسية البيت والاسرة باعتبار انها هي اساس المجتمع الانساني ٢- فرض الضرائب المرتفعة، وانفاق المال العام على الكماليات والامور المظهرية ٣- ما يسميه تحول المتعة الى اشكال من الجنون مثال ذلك ان تصبح الرياضة عاما بعد عام اكثر عنفا ووحشية**

**-4انهيار المسئولية الفردية أي احساس الفرد بمسئوليته تجاه المجتمع**

**-5انهيار مكانة الدين في المجتمع، وكقوة مرشدة وموجهة وهادية لأبناء المجتمع تفكيرا وقيما وسلوكا**

**لورد ما كولاي، مؤرخ وكاتب انجليزي عاش في القرن التاسع عشر كتب بدوره عن قضية انهيار وموت الامم واسباب ذلك في رأيه ان الامم تمر في اعمارها عبر مراحل مختلفة هي على النحو التالي:**

**-1من العبودية الى الايمان الروحي**

**-2من الايمان الى البسالة والشجاعة الفائقة**

**-3من الشجاعة الى الحرية**

**-4من الحرية الى الوفرة**

**-5من الوفرة الى الاستكانة والرضا الفائق عن النفس**

**-6من الاستكانة الى الانانية المفرطة**

**-7من الانانية الى الاستهتار واللامبالاة**

**-8من الاستهتار الى التبعية**

**-9من التبعية الى العبودية مجددا**

**بالطبع من السهل من هذا الترتيب الذي وضعه لمراحل تطور الامم ان نعرف الاسباب التي حددها والتي تقود الى انهيارها وموتها**

*******

**بعض من النظريات والافكار التي طرحها المؤرخون والمفكرون في محاولاتهم الاجابة عن السؤال: لماذا تنهار الأمم وتموت؟ قبل ان اقدم بعضا من الافكار الاخرى بهذا الخصوص لا بد من الاشارة الى ما قاله مولانا جلال الدين الرومي فهو في جملة واحدة بليغة معبرة حقا لخص في حقيقة الامر كل هذا الجدل وان لم يفصل**

**قال مولانا الرومي: الامم تموت عندما لا يصبح بمقدورها ان تميز بين الحق والباطل**

**ماذا يعني كل هذا الجدل بالنسبة لحال امتنا العربية اليوم؟**

**سقوط الدول في مقدمة ابن خلدون هل ينذر بسقوط إسرائيل بموت آخر العمالقة في تأسيس الكيان الإسرائيلي**

**سقوط الدول في مقدمة ابن خلدون هل ينذر بسقوط إسرائيل بموت آخر العمالقة في تأسيس الكيان الإسرائيلي**

**اعداد وتقرير المحامي علي ابوحبله**

**من هو شمعون بيرس الذي توفي عن عمر يناهز ٩٣ عاما**

**شمعون بيرس هو اخطر سياسي إسرائيلي على العرب عامة والفلسطينيين خاصة، وهو صاحب الرؤيا التي يعمل بموجبها طوال الوقت وهي أن على إسرائيل أن تقنع الجميع أنها تريد السلام وتريد أن تكون جزءا من الشرق الأوسط الجديد، في الوقت الذي على إسرائيل أن تعرف تماما أن مصلحتها في السيطرة على الشرق الأوسط ، بدون الوصول إلى السلام العادل الحقيقي وقد كان بارعا جدا في العمل وفق رؤيته هذه، لدرجة أن تلميذه يوسي بيلين الصهيوني صدق انه يريد السلام وبعد سنين عندما اكتشف أن بيرس لا يريد السلام، اعتبر نفسه انه كان سياسيا ساذجا**

**إن السلام الذي يسعى بيرس للحصول عليه قائم على أساس قيام دولة فلسطينية ممسوخة وتابعة لإسرائيل على أجزاء من الضفة الغربية وأجزاء من قطاع غزة**

**وُلد شمعون بيرس في بيلوروس في عام ١٩٢٣ وهاجر إلى فلسطين مع عائلته عندما كان يبلغ من العمر أحد عشر عامًا ونشأ في تل أبيب وتعلّم في المدرسة الثانوية الزراعية في بن شبمن وفي ١٩٤٣ انتُخب سكرتيرًا لحركة الشبيبة التابعة لتيارالصهيونية العُمّالية وقد بدأ بيرس**

بالعمل مع ديفيد بن غوريون و ليفي إشكول في قيادة الهاجاناه في عام ١٩٤٧م، وشارك في ارتكاب مجازر عدة ضد الفلسطينيين سنة ١٩٤٨-١٩٥٢م، وفي عام ١٩٤٩م عين رئيساً لوفد وزارة الدفاع إلى الولايات المتحدة، حيث قام بشراء العتاد العسكري

وفي عام ١٩٥٢م تم تعيينه نائباً للمدير العام لوزارة الحرب، ليصبح في العام الذي تلاه المدير العام، وفي إطار منصبه هذا أسس روابط وطيدة مع فرنسا، وحقق تقدماً في تطوير الصناعات الجوية الإسرائيلية وفي عام ١٩٥٩م تم انتخابه لأول مرة للكنيست ممثلاً عن حزب مباي (أي حزب عمال إسرائيل ) وقد عين نائباً لوزير الحرب، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٦٥م

وبالرغم من ألصوره الذهنية التي حملها البعض عن شمعون بيرس بأنه صانع للسلام وهو مهندس اتفاق أوسلو

إلا أن شمعون بيرس كان له دور كبير في تأسيس الكيان الإسرائيلي وهو مهندس البرنامج النووي الإسرائيلي ويعد من ابرز مخططي عملية عنتيبي لإنقاذ الرهائن الإسرائيليين الذي كانوا في الطائرة المختطفة اير فرانس التي اختطفها فلسطينيون إلى أوغندا

وقد تولى شمعون بيرس رئاسة الوزراء مرتين واكتسب شهرته الدولية بعد التوقيع على اتفاق أوسلو التي وقعت بين إسرائيل ومنظمة التحرير

**الفلسطينية عقب سلسلة مفاوضات شهدتها العاصمة النرويجية عام ٩٣ وقد حصل شمعون بيرس على جائزة نوبل للسلام بالاشتراك مع رئيس الوزراء الصهيوني آنذاك إسحق رابين ورئيس السلطة الوطنية الفلسطينية الراحل ياسر عرفات**

**وبالرغم من توليه منصب رئيس الوزراء مرتين فإنه لم يفز في أي انتخابات جرت في الكيان الإسرائيلي فقد شغل منصب رئيس الوزراء في عام ١٩٨٤ في ظل حكومة وحدة تشكلت آنذاك وكانت المرة الثانية في عام ١٩٩٥ في أعقاب اغتيال إسحق رابين، حيث جمع بين منصبي رئيس الوزراء ووزير الحرب**

**وفي المرات التي رشح فيها نفسه للانتخابات مني بهزائم متكررة مثلما حدث في الأعوام التالية : ١٩٧٧، ١٩٨١، ١٩٨٤، ١٩٨٨، ١٩٩٦، فلم يحصل على الأغلبية التي تؤهله للفوز، ولذلك لُقّبَ عند اليهود بالسيد الخاسر**

**جرائمه بحق الفلسطينيين والعرب:**

**-قاد بيريس عدواناً عسكرياً أطلق عليه اسم عناقيد الغضب، قصف فيه مدن لبنان بما فيها العاصمة بيروت في أوائل مايو-أيار ١٩٩٦، وتمثلت الوحشية الإسرائيلية في أعنف صورها عندما قصفت القوات الإسرائيلية ملجأ للأمم المتحدة بقانا في الجنوب اللبناني يؤوي مدنيين أكثرهم من**

الأطفال والنساء والشيوخ مما أسفر عن جرح ومقتل المئات

-شارك شارون حملة القمع والتنكيل والمذابح التي مورست ضد الفلسطينيين في انتفاضة الأقصى، وهو متورط كذلك في مذبحة مخيم جنين ومجزرة حي الياسمينة في القصبة بمدينة نابلس القديمة وباقي عمليات الاغتيال والقصف ألتدميري في الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث كان شريك شارون في الحكم

-أعطى الضوء الأخضر لجيش الاحتلال بهجومه على غزة في نهاية شباط من العام ٢٠٠٨وقد حصل جيش الاحتلال على الضوء الأخضر من المستوى السياسي للعمل بحرية وكانت نتيجة هذا الضوء الأخضر الدم الفلسطيني الذي تدفق بغزارة في قطاع غزة والمحرقة التي ارتكبت بحق الفلسطينيين حيث سقط خلال العدوان على غزة مئات الشهداء خلال أيام معدودة ودمرت البيوت بزعم الرد على قصف الصواريخ الفلسطينية، التي هي بالأساس رد على جرائم الاحتلال وعلى الحصار والإغلاق والتجويع والضغط والعقاب الجماعي- التي فشلت مجتمعة في تحقيق الهدف المنشود الذي يتمثل في تغيير الواقع السياسي والديموغرافي في قطاع غزة

موقف شمعون بيرس من فوز حماس بالانتخابات التشريعية

فقد اعتبر بيريس في تصريحات لصحيفة معاريف بتاريخ ٢٣-٨-٢٠٠٦

**أن العالم سيرتكب خطأً كبيرًا في حال سمح بنجاح تجربة حركة حماس في الحكم ، معتبراً أن نجاح حركة حماس في الحكم يعني أن العالم قد سلم بنشوب حرب دينية في المنطقة، ومشدداً على أن إفشال حكومة حماس مهمة تقع على رأس أولويات الحكومة الإسرائيلية**

**وفي مناسبة أخرى اعتبر بأن بقاء حركة حماس في الحكم يعني عدم قدرة إسرائيل على تمرير أي اتفاق تسوية يضمن تحقيق مصالحها الإستراتيجية في الضفة الغربية**

**من أقوال شمعون بيرس:**

**بدأ العرب يفهمون أن الإرهاب سببٌ لفقرهم ، فهم ضحايا أخطاء ارتكبوها بأنفسهم**

**إن التنازلات التي حصلنا عليها لم يكن بالإمكان إبرام اتفاقية مع الفلسطينيين لولاها**

**إن المفاوضات بين الاسرائليين والفلسطينيين كانت حقيقة بين إسرائيل ونفسها**

**هذا العرض لسيرة موجزة لحياة رئيس الكيان الصهيوني شمعون بيرس ويعد اخر عمالقة في تاسيس هذا الكيان وله يد طولى في ارتكاب جرائم القتل في حق الفلسطينيين منذ تاسيس هذا الكيان حتى اخر لحظه من حياته ، نستطيع استخلاص بعض النتائج المهمة، والعبر المفيدة والتي**

**نوجزها فيما يلي:**

**إن جميع زعماء الاحتلال قد وصلوا إلى سدة الحكم نتيجة سجل تاريخهم الحافل بالإجرام والوحشية وارتكاب المجازر ضد أعدائهم من العرب والفلسطينيين، حيث كان الواحد منهم يتقرب للناخبين باستعراض بطولاته في ساحة الاعتداء واغتصاب الأرض، ليحصل على مزيد من الأصوات من الشعب المتعطش للدماء الفلسطينية ، إن ارتكاب الجرائم المروعة والمجازر البشعة صفة جمعت بين جميع قادة الاحتلال، والتي عكست مدى الوحشية التي اتصف بها هؤلاء الذين قادوا دولة الكيان الصهيوني خلال تاريخها الدموي**

**حدة التنافس بين القيادات الصهيونية في تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتوسيع الاستيطان على حساب الشعب الفلسطيني وان مناداتهم بالسلام وسيلة للمراوغة والتقاط الأنفاس، ولإيهام الرأي العالمي أنهم أهل سلام وأمن، فيما هم يفكرون ويستعدون للحرب والاعتداء على الآخرين في جولات قادمة**

**,وان نقضهم للمواثيق، وعدم التزامهم بها، وإخلافهم للوعود، وعدم التزامهم بما اتفقوا عليه في المفاوضات والاتفاقيات الدولية هي صفه ملازمه للكيان الإسرائيلي ،**

**وهنا تستوقنا نظرية ابن خلدون في سقوط الدول**

، حيث يقدم لنا العلامة عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله: نظريته حول سقوط الدول الأسباب والآثار، حيث بني نظريته في هذا الصدد على استقراء تاريخي –كما هو منهجه في فلسفة التاريخ عموماً- غير أنه في نظريته لسقوط الدول وطرق الخلل كيف تأتي عليها مشيراً أكثر من مرة إلى أهم الأسباب، والتي لاحظها من خلال تأمله في تاريخ الدول والإمبراطوريات، بل وعلى مستوى سلطنات الأقاليم، فوجد أنها قد تختلف في بعض جزئيات التفاصيل، لكن الأسباب البارزة ظلت هي هي، السبب الأول لسقوط الدول بحسب نظرية ابن خلدون : الظلم

السبب الثاني: الشيخوخة

أوضح أن الدول تشبه الإنسان في مشوار حياته طفولة، شباب وفتوة، كهولة، شيخوخة، وهذه الأخيرة مصطلح الهرم، مؤكداً أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع وقد يأتي البعض من الأبناء أو حاشية الملك فيسعى جاهداً لتلافي السقوط، ظناً منه أنه يعالج الداء وهيهات فإن الهرم لا علاج له أبداً ولكن كيف تكون بداية

ولكل أجلٍ كتاب

السبب الثالث: هرم الدولة

كلما ظهر تمرد يتم تسكينه بالعطاء، فتفقد الدولة الأبهة وبالتالي يكون الوهن هنا قد لحق بالشوكة/ الجند والجيش فيظل صاحب الدولة يداري

بالمال فيزيد الهرم فيسطوا أهل النواحي/ الأطراف نظراً للفشل، وهنا تكثر الجبايات في المركز والمكوس/ الضرائب ويمتد الظلم إلى حقوق الضعفاء تحت أي مبرر كما أن الجند يطالبون بزيادة العطاء/ الرواتب أسوة ببطانة الدعة والترف/ الحاشية المقربين فيكثر الإنفاق فلا تكفي الجبايات وهنا يتجاسر الجند على الدولة فتتلاشى إلى أن يضمحل الذبال في السراج إذا ذهب زيته

صورة أخرى

المنافسة بين أهل الدولة/ المقربين، وذلك عندما يرون استبداد صاحب الدولة بالمجد ورفض المشاركة بل يأنفها فيسعى إلى قطع أسباب المشاركة ما استطاع ولو بإهلاك من شك فيه ولو من ذوي قرابته وربما أحس القرابة بهذا الشك فينزعوا إلى الأطراف فيلحق بهم أمثالهم فيبدأ سقوط الأطراف بهدف التضييق على بطانة الدولة حتى تسقط أو تنقسم، لأن الانقسام هو من أكبر مظاهر الدولة الهرمة ويستدرك ابن خلدون: قد يحصل أن الدولة تأخذ بمظاهر القوة والبطش لكنها أفاقة / قريبة الخمود أشبه بالسراج عند انتهاء الزيت منه فإنه يتوهج لكن سرعان ما ينطفئ وحقيقة القول ان مقدمة ابن خلدون تنطبق في شروطها لسقوط الدول على اسرائيل التي استبدت وظلمت شعبا اخر وهي تعيش الانقسام في داخلها لان اسرائيل كيان متنوع الاعراق والقوميات وتجمعهم الديانه

اليهوديه وهم مختلفون في العادات والتقاليد وتسود المجتمع الاسرائيلي الفوارق الاجتماعيه والعنصريه وان الذي يجمع الكيان هو بث الرعب والخوف من العرب واليوم وحيث تسعى اسرائيل لتبديد هذا الخوف ببناء العلاقات مع دول الجوار حيث يبدء التفكك الاسرائيلي والمجتمع الاسرائيلي

وموت شمعون بيرس يعطي الدلاله ان هذه الدوله وهي تفقد اخر عمالقتها فهي بالفعل بدأت تفقد رموز اقامتها وهؤلاء بفقدانهم فان اسرائيل في طريقها الى السقوط وفق نظرية ابن خلدون في اسباب سقوط الدول استنادا لقوله تعالى وجعلنا لكل امة اجل فاذا جاء اجلها لا يستأخرون ولا يستقدمون فهل رحيل شمعون بيرس ينذر بسقوط إسرائيل بموت آخر العمالقة في تأسيس الكيان استنادا لنظرية سقوط الدول في مقدمة ابن خلدون

يعتبر عبد الرحمن بن خلدون من الشخصيات الإسلامية الفذة في العصور الوسيطة ، وهو مغربي الميلاد والنشأة والثقافة

وابن خلدون يمثل نقطة تحول في كتابة التاريخ الإنساني ، وفي تأسيسه لعلم الاجتماع ، ومن الظلم أن نقارنه بمفكري أوربا في عصر النهضة كدانتي مثلاً ، فإن كان دانتي قد هزَّ الفكر الإنساني في أوربا ، فإنَّ ابن

خلدون قد هزَّ الفكر الإنساني العالمي ،لأنَّ ابن خلدون وضع خطة جديدة وآراء جديدة ،بل وضع قوانين جديدة يمكن تطبيقها ، وتنسحب على كل المجتمعات البشرية ، انطلاقاً من أنَّ الإنسان لا يعيش إلاَّ في مجتمع ،وإذا عاش في مجتمع، فلابد أن يعيش مع شعب ،وإذا عاش مع شعب لابد أن يعيش على أرض ، ولكي تظل العلاقة قائمة بين هؤلاء الناس أو القبائل أو الشعب، أو هذه المجموعة البشرية لابد من أن ينظمها حاكم ،وأنواع الحاكم تدرجت من حاكم بسيط «شيخ قبيلة» إلى حاكم مطلق ،استطاع أن يستخدم كل الوسائل التي هيأها له هذا التجمع البشري ،أو هذا العمران ، واستطاع أن يستغل هذا ويصبح هو الحاكم المطلق ، وإذا أصبح حاكماً مطلقاً استطاع أن يؤسس دولة ، فإذا أسَّس الدولة التي طبَّق عليها ابن خلدون نظريته ، مرَّت الدولة بمراحل مختلفة ، هذه المراحل وجدت صحة في التطبيق عندما ننظر إلى أية دولة الآن نجد أنَّها تمر بنفس المراحل التي وضعها ابن خلدون في مقدمته

المرحله الاولى:

يكون الحكم فى يد شخص من الباديه ، فيمسك بزمام الحكم تساعده على ذلك شخصيته البدويه ومأعطته تلك الشخصيه

من صفات القوه والشجاعه والباس والكرم والبطش والجبروت وكل هذه الصفات تجعله مهابا ومحبوبا فى نفس الوقت

**,مما يمكنه من حفظ توازن الدوله**

**المرحله الثانيه:**

**يكون الحكم فيها لابنائه،ويكون الابناء قد عاشوا فى كنف والدهم،ويكونوا قد اخذوا منه صفات الباديه وعاشوا فترة قوة الحكم وتعلموا اصوله ولكنهم بنفس الوقت تنعموا بالعز والمال والجاه والسلطان،فتجدهم ليسوا اقوياء كوالدهم بل اخذ منهم النعيم الشىء الكثير ،فتقل سطوتهم وتهتز مكانتهم بين الشعب**

**المرحلة الثالثه:**

**يحكم الاحفاد ، وهذا الجيل نسى كل مايربطه بالباديه واعتادوا على النعيم ،فهم اشخاص لايحبون الحركه والسعى فى ارجاء ملكهم لمعرفة امور الدوله والرعيه،فيجعلون الاجانب يمسكون بزمام الحكم ويبعدون الاقارب،ويتنازعون فيما بينهم الحكم, ويتدخل التجار فى سياستهم بعد زوال هيبتهم وقوتهم ،ثم يهون امرهم على التجار فيسلبون اموالهم ،وياخذون حكمهم بمساعدة الشعب الذى فقد الثقه بحكامه و هذه المراحل محققة في جميع الدول و لكن قد تختلف بعض الحقائق المذكورة باختلاف الدولة و نوعية الحكم**

**هل اخطأ بن خلدون حين قال : العرب أمة وحشية!!**

ايضا مقولة عرّبها خربها رددها ابن خلدون بصيغ مختلفة في المقدمة الأكثر من رائعة و التي تعتبر تحفة ادبية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية و دينية و فنية انا انقل و بكل أمانة ما قاله العلامة بن خلدون في مقدمته و التي قراتها و قرأتها و في كل مرة اعود و اقرؤها و لا اخفيكم أنه لم يسبق لي ان قرأت لانسان اكثر من عشر مرات كما قرأت لابن خلدون رحمه الله و رضي عنه و جزاه عنا خير الجزاء

البعض قد لايعجبه ماكتبه بن خلدون و خاصة الفصول التي تحدث فيها عن طبيعة العرب و قسى عليهم بعض الشيء فيها ولانني مقتنع تماما بما جاء به بن خلدون رحمه الله وهو يصف العرب فاحببت ان اضع بين ايديكم ما قاله مؤسس علم الاجتماع في حق العرب ، وبكل امانة قارنوا بين كلام الرجل الذي يعود لمئات السنين و بين واقع الحال اليوم

ملاحظة : انا انقل من مقدمة ابن خلدون الطبعة الاولى لدار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٩٩٣ :

في الفصل السادس و العشرين صفحة ١١٨ و تحت عنوان في أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب يقول بن خلدون:

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحكام عوائد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا و جبلة ، وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم ، و عدم الانقياد للسياسة هذه الطبيعة منافية للعمران و

مناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة و التغلب و ذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له

وفي آخر هذا الفصل يقول :

وايضا فهم متنافسون في الرياسة ، و قل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان اباه او اخاه او كبير عشيرته ، الا في الاقل و على كره من اجل الحياء ، فيتعدد الحكام منهم و الامراء ، و تختلف الايدي على الرعية في الجباية و الاحكام ، فيفسد العمران و ينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما سأله عن الحجاج و اراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة و العمران فقال ) تركته يظلم وحده(( وانظر الى ما ملكوه و تغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه ، و اقفر ساكنه ، و بدلت الارض فيه غير الارض : فاليمن قرارهم خراب الا قليلا من الامصار ، و عراق العرب كذلك خرب عمرانه الذي كان للفرس اجمع ، و الشام لهذا العهد كذلك ، و افريقية و المغرب لما جاز إليها بنو هلال و بنو سليم منذ اول المائة الخامسة و تمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها عادت بسائطه خرابا كلها ، بعد ان كان مابين السودان و البحر الرومي كله عمرانا ، تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم و تماثيل البناء و شواهد القرى و المدر و الله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

أعجبتني حكاية الاعرابي هذا

وفي الفصل السابع و العشرون صفحة ١١٨ و تحت عنوان :

)في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة او ولاية او أثر عظيم من الدين على الجملة ) يقول :

والسبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة و الانفة و بعد الهمة و المنافسة في الرياسة ، فقلما تجتمع اهواؤهم فإذا كان الدين بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر و المنافسة منهم ، فسهل انقيادهم و اجتماعهم ، و ذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة و الانفة الوازع عن التحاسد و التنافس

لله درك يا بن خلدون فلقد أصبت كبد الحقيقة ، فلو دققنا في التاريخ الاسلامي لوجدنا كل هذه الصفات المذمومة و الحميدة لدى العرب ، فهم في حالة اجتماع كلمتهم على الدين كانوا احسن الناس ( الصدر الاول من الاسلام ) و حين يبتعدون عن الدين يتحولون الى وحوش اسوأ بكثير من كل امم الارض ( زمن ملوك الطوائف في اسبانيا - الدول العربية الحديثة ) فعلا هم وحوش حين يبتعدون عن الاسلام

القوميون العرب لايحبون بن خلدون ( معظمهم على الاقل ) بسبب الفصول التي تحدث فيها عن وحشية العرب و تخلفهم عن بقية الامم

حين يبتعدون عن الدين ، لذلك تجد بعضهم يمدح بن خلدون و لكنه لا يأتي على ذكر هذه الفصول وقد قرأت لبعضهم اعتراضات لم تقنعني على ماكتبه بن خلدون رحمه الله الذي في نظري اصاب حين وصف العرب بهذا الشكل

اعذروني لانني كتبت بن بدل ابن و هذا لاننا في المغرب تعودنا على كتابتها بهذا الشك

لأندلس، دراسة موضوعية في الأسباب

من جملة الأشياء التي اتفق عليها تقريبا كل العرب إلى درجة أنها أصبحت في أذهانهم حقيقة راسخة لا تقبل الجدال، هي أن أجدادنا صنعوا في الأندلس واحدة من أعظم الحضارات في التاريخ وأكثرها تقدما وتسامحا وعدلا وتعايشا بين الأديان... ونسي العرب أن يسألوا أنفسهم: إذا كان عرب إسبانيا بهذه الدرجة من التقدم والتسامح والعدالة، فلماذا طردهم سكان البلاد الأصليين؟ ولماذا تنكر الإسبان للهوية العربية الإسلامية دون رجعة ودون أي علامة أسف أو ندم؟ملاحظة: فتح الأندلس: البداية الخاطئة

كتب موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك يخبره أنه يريد غزو إسبانيا بعد الإشارات الإيجابية التي تلقاها من حاكم سبتة يوليان، فأمره الوليد أن يغزوها بسرايا من البربر وليس من العرب، وذلك خوفا على

الجنس العربي من بحر شديد الأهوال بعث موسى رجلاً من الموالي (العبيد) إسمه طريف في أربعمائة رجل ومعهم مائة فرس، أغار المسلمون على الجزيرة الخضراء فأصابوا غنائم كثيرة من النساء والأموال والمجوهرات ورجعوا في رمضان سنة ٧١٠م لما رأى البربر ما جلبه طريف من الغنائم والأسلاب ، تدافعوا إلى طلب المشاركة في الغزو طمعا في مزيد من السبايا والأموال والأنفال ولكي ينشر الرعب في الأوساط الإسبانية أشاع طريف ومن معه بأنهم من آكلي لحوم البشر، فكانوا يذبحون الأسرى الإسبان ويطبخون لحومهم في القدور ثم يحررون بقية الأسرى لكي ينقلوا الخبر إلى بقية الإسبان (الكامل ج٢ ص٣٤٢ /تاريخ الإسلام ج٢ ص٢٢٨ / الإحاطة في أخبار غرناطة ج١ ص ٣)... ثم جاء موعد فتح الأندلس سنة ٧١١م، وكان القائد البربري طارق بن زياد هو المرشح لقيادة الجيش المكون من ١٢٠٠٠ جندي من البربر ومعهم قليل من العرب انتصر جيش طارق بن زياد على مائة ألف مقاتل قوطي يرأسهم الملك لوذريق (رودريك) الذي مات في المعركة، وفتح طارق كل بلاد إسبانيا في بضعة أشهر، وغنم الكثير من النساء والأموال والثروات بلغ موسى بن نصير ما صنعه طارق من غزوات وغنائم فحسده وأحس بالغيرة، فكتب إلى طارق يأمره بأن لا يتوغل بغير إذنه وأن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به استخلف موسى بن نصير على

القيروان ابنه عبد الله وخرج من المدينة في عسكر ضخم قاصدا الأندلس سنة ٧١٢م في ١٨٠٠٠ جندي بمجرد وصوله إلى الأندلس، قام بعزل طارق بن زياد عن الإمارة، وبدأ يبحث عن مدائن لم تسقط ليغزوها وينافس طارق فيما فعله (الكامل ج٢ ص٣٤٢ / المنتظم ج٢ ص ٣١٦ / تاريخ الإسلام ج٢ ص)، ثم استخلف موسى على الأندلس ابنه عبد العزيز بن موسى، ولما عبر البحر إلى سبتة استخلف عليها وعلى طنجة وما والاهما ابنه عبد الملك، واستخلف على إفريقية وأعمالها ابنه الكبير عبد الله، (احتكر حكم ولايات المغرب والأندلس لأبنائه دون غيرهم!!!) ثم سار إلى الشام وحمل الأموال التي غنمها من الأندلس ومعه ثلاثون ألف عذراء من بنات ملوك القوط وأعيانهم ومن نفيس الجوهر والأمتعة ما لا يحصى مات الوليد بن عبد الملك، وخلفه سليمان بن عبد الملك، ولم تكن علاقته جيدة مع موسى بن نصير، فعزله عن جميع أعماله وأقصاه وحبسه وأغرمه حتى احتاج أن يسأل العرب في معونته (الكامل ج٢ ص ٣٤٣ /النجوم الزاهرة ج١ ص٩٠ /تاريخ الإسلام ج٢ ص٢٣٠ /البداية والنهاية ج٩ ص١٣٦) دفع موسى بن نصير غاليا ثمن المظالم التي ارتكبها في المغرب والأندلس، ومن ذلك أنهم جاؤوه برأس ابنه عبد العزيز ووضعوها بين يديه (تخيلوا المشهد: موسى بن نصير ينظر إلى رأس ابنه عبد العزيز وهو مقطوع من جثته) وكان سبب قتله أنه تزوج

امرأة رودريك المسيحية، وأحبها جدا وحظيت عنده، وانتشر الخبر بين الناس أنه أصبح مسيحيا، فثار عليه المسلمون وقتلوه وقطعوا رأسه (الكامل ج٢ ص٣٤٣-٣٤٤ / النجوم الزاهرة ج١ ص ٨٨ /تاريخ الإسلام ج٢ ص٢٢٩الكامل ج٢ ص٣٥٧ / الطبري ج٤ ص ٦٢ / النجوم الزاهرة ج١ ص٩١ /البداية والنهاية ج٩ ص١٩٢)... الخلاصة من خلال قراءتنا الموضوعية لكتب التاريخ التي تحدثت عن فتح الأندلس هي أن العرب فتحوا الأندلس لغاية تكاد تكون وحيدة، وهي تحويل وجهة التدافع الاجتماعي الأمازيغي من الثورة ضد العرب إلى الثورة من أجل غزو الأندلس طمعا في نسائها وثرواتها، ثم إذا ربح البربر في الحرب، استفادت العائلة المالكة الأموية من خمس الغنائم الشرعية، وإذا هلك جند البربر على يد الإسبان، استراح العرب من ثوراتهم المتتالية التي كانت لا تنتهي منذ زمن الكاهنة وكسيلة... وتتفق كل كتب التاريخ، على أن القوط (سكان إسبانيا في ذلك الوقت) كانوا يعتقدون أن المسلمين لن يكونوا سوى أداة لإنهاء حكم الملك الغاشم رودريك، وأنهم سيأخذون ما يستطيعون أخذه من الغنائم والنساء وسيعودون أدراجهم إلى افريقية ولكن اكتشف القوط في نهاية الأمر أن المسلمين كانوا يضمرون البقاء في بلدهم للاستمتاع بنساء إسبانيا وثرواتها إلى الأبد ولم تذكر المصادر التاريخية عددا يفوق عدد النساء

**العذارى اللاتي رجع بهن موسى بن نصير إلى الشام (٣٠٠٠٠ عذراء)، ونكاد نجزم أن المسلمين أفرغوا إسبانيا من العذارى في ذلك الوقت!!! وكان واضحا أن الإسبان أضمروا حقدا وكرها دفينا للمسلمين ستظهر ملامحه في الأحداث التاريخية الموالية**

**الولاية الأموية: حروب أهلية لا تنتهي**

**البربر هم الذين فتحوا إسبانيا، ولكن العرب هم الذين استأثروا بالمناصب القيادية... ما حصل في الأندلس، كان موازيا لما حصل في بلاد الفرس (إيران)... غضب الفرس من عنصرية العرب فأعلن الكثير منهم ولاءهم لمذهب الشيعة، وغضب البربر من عنصرية العرب فأعلن الكثير منهم ولاءهم لمذهب الخوارج الذين فروا من المشرق إلى المغرب تحت وطأة ضربات الدولة الأموية... وعمت الفتنة بلاد الأندلس، واقتتل المسلمون فيما بينهم تاركين شمال إسبانيا للسكان الأصليين، فاستعاد هؤلاء حلمهم في التخلص من المسلمين الذين استباحوا ثرواتهم ونساءهم... ثم كانت الحرب الأهلية بين القيسية (عرب الشام) والمضرية (عرب الحجاز واليمن)، واستغل القوط الفرصة ليستعيدوا المزيد من الأراضي في الشمال، وليكوّنوا دويلات مستقلة إسبانية وبرتغالية ستكبر مع الوقت شيئا فشيئا على حساب الأراضي الإسلامية**

**الدولة الأموية: العصر الذهبي للأندلس... ولكن!**

استطاع عبد الرحمان الداخل (صقر قريش) النجاة من التصفية العرقية التي قام بها العباسيون تجاه قبيلة بني أمية، وهرب إلى المغرب ثم إلى الأندلس ليكوّن الخلافة الأموية الثانية اتفقت جميع المصادر التاريخية على نبوغ ودهاء هذا الرجل، حيث استطاع أن يخمد الحرب الأهلية بين القبائل العربية في اسبانيا، وأن يتصدى للمسيحيين شمالا والعباسيين جنوبا... ويبدو أنه استطاع أن يوجّه التدافع الاجتماعي نحو وجهة دينية مذهبية استطاع بها أن يوحد بين كل الأندلسيين، حيث عمل على أن يكون المذهب المالكي هو المذهب المسيطر على الأندلس وعمل على تقوية مكانة رجال الدين في المجتمع ليتمكن من خلالهم من السيطرة على الدولة، وواصل ابنه هشام على منوال والده... ولكن، تقوية مكانة رجال الدين في المجتمع هي سلاح ذو حدين لأنهم عادة ما يتحرجون من الترف والتطور الفكري (الفلسفة) المصاحبين للتقدم الحضاري: مع مرور الوقت، ومع ازدهار الحضارة الأندلسية وانتشار بعض أنواع الفنون والفكر والرياضة، انقلب السّحر على الساحر، وثار رجال الدين على أصحاب القرار، وانتشر التكفير وتدافع الناس نحو التطرف الديني، ومن أمثلة ذلك، ثورة الربض التي كان يقودها رجال الدين ومن جملتهم يحي بن يحي الليثي... من جهة أخرى، واصل العرب ومن والاهم من الوصوليين سياستهم الإقطاعية تجاه بقية البربر والسكان الأصليين،

ومن أمثلة ذلك أن أسرة ابن حزم القريبة من العائلة المالكة الأموية نجحت في امتلاك قرية بأكملها (!!!)هي منت ليشم... وساهمت الطبقية والعنصرية في تأجيج التطرف الديني والفتنة والعنف المتبادل بين أفراد المجتمع... استغل المسيحيون ذلك ليستعيدوا ثغر برشلونة الاستراتيجي وأصبحت برشلونة من أوائل المدائن المسلمة التي عادت نهائيا إلى المسيحيين ليصنعوا فيها حضارة عظيمة مازالت متواصلة إلى الآن... تصدى الحكام الأمويون لثورة رجال الدين بكل عنف ووحشية، وساهم ذلك في تحويل التدافع الاجتماعي من تدافع ديني إلى تدافع عرقي وقبلي، فاستقلت القبائل العربية اليمنية وكونت دويلة في اشبيلية، واستقلت القبائل البربرية في غرب الأندلس وجنوب البرتغال، وثار السكان الأصليون فيما يُعرف بثورة المستعربين ثم جاءت ثورة المولدين التي دامت ثلاثين عاما... ثم جاء عهد عبد الرحمان الناصر الذي كان محوريا في تاريخ الدولة الأموية أعاد الخليفة الأموي توحيد الأندلس ثم تفرّغ لإرساء دعائم الدولة وفهم عبد الرحمان ومن بعده ابنه الحكم أنه لا يمكن الحفاظ على وحدة الدولة وازدهارها وتقدمها إلا بانتشار العلم والتعلم بين أفراد المجتمع... انتشر العلم في قرطبة وبلغ عدد الكتب ٤٠٠٠٠٠ كتاب في مكتبة واحدة هي مكتبة الحكم، وبلغ عدد المكتبات ٧٠ مكتبة، وانتشر العلم بين النساء أيضا وأصبحن عنصرا فاعلا في

المجتمع، ومن أمثلة ذلك أنه كان في الربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، ونزعت نساء الأندلس الحجاب، وأصبحن يتجولن في الشوارع سافرات، وكان منهن الطبيبة والحجامة والدلالة والماشطة والمغنية والمعلمة والصانعات في المغزل والنسيج ( طوق الحمامة ص١٩) وتفنن الناس في أنواع الطعام والغناء والطرب، واشتهر زرياب الذي شغل الناس بابتكاراته في عالم الطعام واللباس والموسيقى، فلكل فصل نوع من الطعام واللباس، ولكل مجلس آداب وتقاليد، ولكل حفلة طرب وغناء وموسيقى بمختلف الألحان، وازدهرت الحضارة ازدهارا عظيما بلغ عدد حمامات قرطبة ٦٠٠، وكان فيها مائتا ألف دار وثمانون ألف قصر، وبلغ عدد أرباض قرطبة تسعة أرباض كل ربض كالمدينة الكبيرة، وفي ضواحيها ثلاثة الآف قرية، وقدّر بعض المؤرخين عدد سكان قرطبة في أيام أزدهارها بمليوني نسمة، وكانت شوارعها مبلطة وتُرفع قماماتها وتُنار شوارعها ليلاً بالمصابيح ويستضئ الناس بسروجها ثلاثة فراسخ لا ينقطع عنهم الضوء... وفي محاولة منه للقضاء على العنصرية في الأندلس، لم يشترط الخليفة الأموي عربية الجنس في القضاء (وهو قرار ثوري في ذلك الوقت لأنه ألغى ضمنيا ونسبيا فكرة التفوق العربي على بقية الأجناس المتعايشة في الأندلس)، وأصلح القضاء ووضع شروطا

**موضوعية لتوليه، وأنشأ قضاءً جديدا أسماه قضاء المظالم (ما يقابل الاستئناف في يومنا هذا) وأصلح نظام الجباية والنظام المالي ككل، فتطورت مداخيل الدولة في إطار من العدالة الاجتماعية، وازدهرت البلاد تبعا لذلك، وأطلق على قرطبة لقب جوهرة العالم في ذلك الزمان... كان القرن الرابع للهجرة (القرن العاشر للميلاد) عهدا ذهبيا في الأندلس، ومن خلال قراءتنا لكتب التاريخ، نكتشف أن السبب الرئيسي يكمن في تحويل التدافع الاجتماعي من تدافع ديني أو عرقي إلى تدافع حضاري بأتمّ معنى الكلمة... قرطبة في القرن العاشر للميلاد كانت مكانا يتنافس فيه الناس على الحضارة بعلمهم، وفكرهم، وفنّهم، وأدبهم، وأنواع طعامهم ولباسهم... كادت الفوارق الدينية والعرقية أن تذوب في حضارة قرطبة... واستقبلت المدينة طالبي العلم من كل أنحاء العالم... وانتشر التسامح والتعايش بين الأديان بشكل لم يسبق له مثيل... وأصبحت العلاقة بين الدولة المسلمة في الجنوب والدويلات المسيحية في الشمال علاقات سياسية بحتة غابت فيها العصبية الدينية وحضرت فيها المصالح السياسية والاقتصادية المشتركة... ولكن، نسي الخلفاء الأمويون أن يقوموا بشيء واحد يكملون به مسيرة حضارتهم ويضمنون به استمرار وازدهار مؤسسات دولتهم: لم يفصلوا المدارس عن الجوامع، وبقي التعليم في قرطبة مرتبطا ارتباطا عضويا بأئمة الجوامع**

والفقهاء لم يكن بمقدور أي شخص أن يصبح قاضيا أو وزيرا، أو حتى مهندسا أو طبيبا، إلا إذا رضي عنه شيوخ الدين، كل شهائد الدولة كانت تمر عبر أيديهم هؤلاء الشيوخ بقيت لهم الكلمة الفصل في كل مؤسسات الدولة، وهذا هو الخطأ الكبير الذي ستدفع الدولة الأموية ثمنه غاليا جدا... لم يستسلم شيوخ الأندلس لحضارة قرطبة المتنوعة والمتسامحة ولا لثقافتها المتقدمة، وحافظوا على نفوذهم وسلطتهم، وتنافسوا في التحريم والتكفير، وانقسموا إلى مذاهب عدة متناحرة فيما بينها ومنغلقة على الآخرين، ولم يقع الاختلاط بين الطوائف الأندلسية المتعددة في إطار دولة مدنية تجمع الجميع تحت قانون مدني واحد، كانت للمسلمين قوانينهم الخاصة وللمسيحيين قوانينهم الخاصة ولليهود قوانينهم الخاصة مع إعطاء الأفضلية للقوانين الإسلامية في صورة حصول نزاع بين أفراد منتمين إلى طوائف مختلفة... النتيجة الحتمية لكل ذلك هي أن المسلمين (وخاصة العرب منهم) واصلوا الانفراد بمقاليد الحكم رغم أنهم كانوا أقلية ضمن الواقع الديموغرافي الأندلسي الغني بالبربر والموالي والصقالبة والسكان الأصليين من مسيحيين (مستعربين) ومولدين ويهود... وأثبت التاريخ أن الأمم التي تتمتع بتنوع ديني وعرقي وتعطي الأفضلية لدين أو عرق على الأديان والأعراق الأخرى ولا تفصل الدين عن مؤسسات الدولة، سرعان ما تقع فريسة للفتن

والانقسامات والحروب الأهلية بمجرد ضعف السلطة المركزية، وهذا بالضبط ما حصل في الأندلس الأموية التي انقسمت إلى عدة دول صغيرة ومتنازعة سُميت دويلات ملوك الطوائف... توسعت الممالك الإسبانية الكاثوليكيه على حساب هذه الدويلات الإسبانية المسلمة مستغلة تنازعها وفساد حكامها وعنصريتهم تجاه المسيحيين وفي النهاية سقطت طليطلة في أيدي جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة القوي والملكة ايزابيلا الأولى في سنة ١٠٨٥ ولم تنفع انتصارات المسلمين وتوحدهم الوقتي في عهدي المرابطين والموحدين من استرداد طليطلة، وسقطت المدائن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى إلى أن سقطت غرناطة سنة ١٤٩٢ واندثر الوجود الإسلامي نهائيا في بداية القرن السابع عشر بعد محاكم التفتيش التي مارسها المتعصبون الإسبان ضد الموريسكيين... وتجدر الإشارة أن قمة التقدم الحضاري الأندلسي حصلت في عهد ملوك الطوائف ابن رشد، ابن حزم، ابن طفيل، ابن الخطيب، ابن زيدون، ابن زهر، وغيرها من الأسماء اللامعة في الحضارة الأندلسية كانت معاصرة لملوك الطوائف

وبعد السقوط الدروس

الدرس الأول: سقطت الأندلس لأن الوجود العربي فيها كان استعمارا بأتم معنى الكلمة: خلال قراءتي لكتب التاريخ التي تحدثت عن الوجود

العربي في الأندلس، كنت أبحث جاهدا عن أي دليل يثبت أن العرب كانوا يعاملون بقية الأندلسيين على أنهم مواطنون من الدرجة الأولى يتمتعون بكافة الحقوق التي يتمتع بها العربي المسلم في الأندلس، ولم أجد أي دليل على ذلك رأينا معا أن المسلمين، ومنذ الساعات الأولى لاحتلالهم التراب الإسباني، أثبتوا أنهم دخلوا شبه الجزيرة الأيبيرية من أجل الثروة والنساء والعبيد (مثلما يفعل كل المستعمرون) وخلال كامل فترة حكمهم للأندلس، كانوا يعاملون بقية الأندلسيين على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية (ابن خلدون ج ٣ ص ٨٧٨ / , 1 وهذا ما يفسر الثورات المتتالية التي كان يقوم بها البربر والمستعربون والمولدون والصقالبة وغيرهم من الأجناس والأعراق المتواجدة هناك في ذلك الزمان

الدرس الثاني: سقطت الأندلس لأنه لم تكن هناك قومية أندلسية تجمع بين كل الأندلسيين: هذا الدرس هو امتداد للدرس الأول صحيح أن كتب التاريخ تحدثت عن وجود لغة منطوقة أندلسية (لهجة أندلسية) هي خليط بين العربية والبربرية واللاتينية كانت تقريبا تجمع بين كل الأندلسيين وتواصلت حتى بعد سقوط الأندلس بمائتي سنة ( البيان ج ٢ ص ٢٢٢ /الإحاطة في أخبار غرناطةج ١ص ١٠٦- ١٠٧) ولم تندثر اللهجة الأندلسية إلا بالقوة، ومن المعروف أن اللغات واللهجات هي من أهم العوامل المكونة للقوميات كما تحدثت كتب التاريخ على أن العصبية

القبلية العربية في الأندلس كانت أقل بكثير منها في البلدان الإسلامية الأخرى (ابن خلدون ج ٢ ص ٤٦/ابن خلدون ج٣ ص٨٧٨/ الحلل الموشية ص ٣٣) ورغم ذلك، لم تنجح لا اللهجة الأندلسية المشتركة، ولا التراجع النسبي للعصبية القبلية، ولا حرية المعتقد في المجتمع الأندلسي، في تكوين قومية أندلسية والسبب الرئيسي في ذلك، حسب كتب التاريخ، هو إصرار الفقهاء على منع النصارى من الوصول إلى مؤسسات الحكم، ومن أمثلة ذلك أن الفقهاء حثوا الأمير محمد الأول (الذي كان منحازا ومحبا لكفاءة المسيحيين في الإدارة) على تخيير وزراءه النصارى بين الإسلام أو العزل ، كحال كاتبه القومس بن أنطونين (النفخ ج ١ ص ٢٠٢/ 234 –)... العنصرية بين أفراد المجتمع هي أكبر عدو للقومية، ولأجل ذلك لم يشعر المستعربون يوما بأنهم مواطنون أندلسيون وكانوا ينتظرون وصول الجيوش المسيحية من الشمال حتى يستطيعون الانصهار ضمن الدولة المسيحية الإسبانية التي ستحفظ لهم حقوقهم كاملة (ابن الفرضي ص ٢٢٧ ) ومن الأدلة على ذلك أن الملك الإسباني ألفونسو الأول قام أثناء فترة المرابطين بحملة عسكرية على المنطقة الشرقية والجنوبية للأندلس وصل فيها إلى البحر جنوب غرناطة (دون أن يحتل المدائن العربية)، وقام بهذه الحملة بالتنسيق مع المستعربين حتى يتمكنوا من الالتحاق به في دولة الشمال

المسيحية، وتقول المصادر التاريخية أنه عاد إلى بلده بخمسين ألف مسيحي أندلسي خيروا الالتحاق بالدولة الإسبانية في الشمال (الحلل الموشية ص ٧٥-

الدرس الثالث: سقطت الأندلس لأنها لم تفصل الدين عن الدولة: وهذا الدرس هو أيضا امتداد للدرسين الأولين الأكيد أن الكثير من القراء سيقولون لي بأن كل الأمم الإسلامية في ذلك الوقت لم تكن تفصل الدين عن الدولة، من الخلافة الراشدة إلى الخلافة الأموية بدمشق إلى الخلافة العباسية ببغداد إلى الخلافة الفاطمية بالمهدية والقاهرة، ورغم ذلك، لم تسقط دمشق بين يدي مسيحيي الشام ولم تسقط القاهرة بين يدي الأقباط... الإجابة هي أن مسيحيي الأندلس كانت لهم ميزتان تميزهما عن مسيحيي الشام ومصر: ميزة ديموغرافية (نسبتهم في المجتمع الأندلسي أكبر من نسبة مسيحيي الشرق في المجتمع المصري والشامي) وميزة جغرافية ( الأندلس بعيدة نسبيا عن منبع الإسلام وهناك بحر يفصل الأندلس عن بقية الأرض الإسلامية)... كان من الممكن لقرطبة الأموية، وهي السابقة لعصرها في التعايش والتسامح بين الأديان، أن تضع حجر الأساس لمجتمع مدني يمحو تماما كل الفوارق بين المواطنين المنتمين إلى أديان مختلفة... لو فعلت قرطبة ذلك، لانصهر المسيحيون واليهود في المؤسسة الحاكمة الأندلسية،

ولأصبحوا بذلك يشعرون بأنهم مواطنون أندلسيون بأتم معنى الكلمة، ولكانوا من أكبر المدافعين عن دولتهم أمام الإسبان المتعصّبين عوض الإستعانة بهم على الحكام المسلمين ضيّعت قرطبة على نفسها الفرصة التي كانت ستجعلها أول دولة علمانية في التاريخ، وضيّعت بالتالي على نفسها أسباب تواصل دولتها المتكوّنة من أقلية مسلمة تمسك بزمام الحكم وأغلبية مسيحية تقتات من فتات المسلمين

الدرس الرابع: سقطت الأندلس بسبب انقسامها وفساد حكامها: لن أتحدث كثيرا في هذا الموضوع لأن المؤرخين المسلمين سبقوني في ذلك وجعلوا منه السبب الرئيسي لسقوط الأندلس...

وأخيرا... الكثير من المؤرخين يذكرون أن تهافت الأندلسيين على الفنون والأدب كان سببا من أسباب سقوط بلدهم بين يدي الإسبان، وأنا لا أوافقهم الرأي... الفكر والفن الإنساني يكوّنان العنصر الأساسي المولد للحضارة، وأعظم شيء في الأندلس هو حضارتها... كان من الممكن أن تتوحد كل جيوش ملوك الطوائف في جيش نظامي واحد يحفظ استقلالها الخارجي ويضمن استقلالها الداخلي مثلما تفعل الفيدراليات أو الولايات المتحدة ضمن إطار الدولة الواحدة، ولكن ملوك الطوائف كانوا مثالا للأنانية وللحمق والغباء السياسي وحفروا قبورهم بأيديهم... من جهة أخرى، ازدهار الحضارة في عهد ملوك الطوائف، هو دليل على أن

**اللامركزية هي أكبر صديق للتقدم والتطور المجتمعي... الحكم الذاتي للولايات داخل أي دولة هو من الأسباب التي تساعد على النمو الاقتصادي والاجتماعي**

**سقوط الأندلس دروس وعبر**

**مضى على سقوط الأندلس قرابة ١٥٣٣ سنة فقد فتحت الأندلس عام ٩٣هـ، وسقطت عام ٨٩٧هـ، وكان حكم الإسلام لتلك البلاد قرابة ثمانية قرون، وبالضبط ٨٠٤ سنة ولا شك عندنا أن سقوطها كان عقاباً من الله تعالى مأساة الأندلس، تتكرر في حياتنا وفي واقع المسلمين، يوما بعد يوم مرت مآسي مرت مأساة المسلمين في فلسطين، وها نحن نشهد مأساة المسلمين في أفغانستان، وفي إريتريا، وفي الفلبين، وفي لبنان أيضا، وهلم جرا وهناك سنن كونية لا تتخلف متى ما وجدت الأسباب، كانت النتائج؛ ولذلك يقول جل وعلا منبها لهذا الأمر) سُنَّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ قدَراً مَقْدُوراً (ويقول جل وعلا) :سُنَّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّهِ تَبْدِيلاً (ويقول سبحانه) :فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا سُنّتَ الْأَوّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنّتِ اللّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنّتِ اللّهِ تَحْوِيلاً (سنن كونية تمر في حياة الناس، وفي حياة المسلمين خاصة، وقلما يعتبر معتبر ويتذكر متذكر هذه المأساة التي اهتز لها التاريخ، هذه**

**المأساة التي ما كان يخطر بقلب بشر أن تكون كما كانت، وأن تقع كما وقعت**

**أن من يزور أسبانيا الآن، الأندلس سابقا لا يجد أي أثر للإسلام عاش الإسلام، وتمكن الإسلام ثمانية قرون، أكثر من ثمانمائة عام، وخلال سنوات محدودة معدودة لم يبق للإسلام، أي ذكر وأي أثر قد يتوقع من يتوقع، أن تنتهي الدولة الإسلامية في الأندلس، ولكن أن يمحى الإسلام من الوجود وأن يجتث، وأن يقتطع من أصوله ومن جذوره، فهذا ما لا يخطر على بال**

**بدأت محاكم التحقيق ودواوين التفتيش، وبدأ التعذيب الوحشي، الذي لم يمر بتاريخ البشرية كهذا التعذيب أبدا، من يقرأ كيف واجه المسلمون تعذيبا رهيبا وشديدا ومؤلما على يد من؟ على يد النصارى أشكال وألوان من التعذيب، لم تصل إليها البشرية حتى الآن كانوا يلاحقون المسلمين ملاحقة، ويلاقون منهم، ويلاقي المسلمون ألوانا من العذاب والوحشية تقشعر لها الأبدان، إذا علموا أن مسلما اغتسل ليلة الجمعة عرفوا أنه مسلم، فقضوا عليه إذا وجدوه لبس الزينة في يوم العيد، عرفوا أنه مسلم فقضوا عليه كيف يقضون عليه؟ بأساليب وحشية تدمي القلوب استخدموا جميع ألوان التعذيب والبطش والتنكيل على مدى ثلاثة قرون**

متواصلة، حتى محوا المسلمين من الوجود، كانوا يتفننون ويتلذذون في تعذيب المسلمين، هؤلاء اليهود، وهؤلاء النصارى كانوا يأتون بما يسمونه: العروسة أتدرون ما هي العروسة؟ صورة فتاة جميلة مصنوعة من البرونز أو من النحاس، موضوعة في تابوت، ويوضع ويخرج منها خناجر على شكل خناجر، ويقال للمسلم هذه زوجتك، فيلقى في التابوت عليها، ويغلق عليه التابوت والخناجر تمزق أمعاءه وأحشاءه، كانوا يأتون بالمسلم، ويقطعونه أوصالا، وهو حي يبدءون من قدميه حتى يصلوا إلى وسطه، ثم يبدءون من أطرافه، ثم رأسه حتى ينتهي وهو يتأوه ويتعذب واضطر بعض المسلمين أن يعلن التنصر، وأنه نصراني، وأن يربي أبناءه على النصرانية علنا، ولكنه يخفي الإسلام ولكن تابعوهم متابعة دقيقة، حتى إنهم كانوا يفتشون عن عورة الصبي، أو لرجل فإن وجدوه مختونا علموا أنه مسلم، فبطشوا بأهله وبزوجته وبأبنائه بأشد أنواع البطش والفتك

لو كان الأمر بيدي، لأمرت بأن تقرر مادة دراسية على طلابنا عن سقوط الأندلس، وعن نظائره من دروس السقوط الموجودة بشكل أو بآخر في تاريخنا الإسلامي زماناً ومكاناً

-ما الذي جرى لنا في الهند حتى أصبح المسلمون أقلية مضطهدة؟

**-ولماذا سقطت خلافة آل عثمان؟**

**-لماذا ضاعت صقلية وقبرص؟**

**-لماذا تخلفنا علمياً وقد كنا علماء الدنيا وأساتذتها؟**

**-لماذا أصبحنا ندخل الحروب لنهزم؟**

**-ولماذا أصبحنا نحو خمسين دولة؟**

**لقد قامت دولة ما تسمى بإسرائيل بدراسة أسباب سقوط الأندلس وأسباب نجاح المسلمين في معركة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وقد جعلت من نتائج الدراستين مقررات سرية يمنع تداولها فهل نطمع نحن أن يقوم الحكام والمفكرون المسلمون بدراسة نتائج دروس تاريخهم مثلما فعلت إسرائيل؟!! أم أن هذه الدروس ستبقى حكراً على إسرائيل والدول الكافرة، بينما نغط نحن المسلمين في سبات عميق أو نخدر بأوهام التركيز على الصفحات المضيئة في تاريخنا، تاركين الصفحات الأخرى السلبية والمأساوية، مع أن الله تعالى عندما قص علينا تاريخ الأمم السابقة بين لنا أن المهم ليس السرد التاريخي، بل المهم استيعاب الدرس والعبرة) قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) (فهل ينتظرون إلا مثل أيام**

الذين خلوا من قبلهم) (قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين) (ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين(

حينما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس، كانوا قد انصهروا في بوتقة الإسلام، حيث تأدبوا بآدابه، فاتبعوا أوامره، و اجتنبوا نواهيه، كما مثلوا أخلاقياته و ما يدعو إليه من قيم سامية واقعاً ملموساً، أدركها جميع أهل تلك الديار، فأعجبوا بها فقد قال أحد قادة لذريق في رسالة بعث بها إليه يصف بها جيش المسلمين الأول الذي عبر إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد: (لقد نزل بأرضنا قوم لا ندري هبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض) وقد بقي المسلمون خلال القرون الثلاثة الأولى من وجودهم هناك محافظين على تلك القيم معتزين بها و لكن مع مضي الزمن بدأ البعض منهم بالتحلل منها مما أفقدهم شيئاً من مقومات أصالتهم ووجودهم هناك وقد أدرك هذه الحقيقة ابن خلدون حين قال: (إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طريقها، وهذا ما حدث في الأندلس وأدى فيما أدى إلى ضياعه) كما أدركها كوندي أحد كتاب النصارى حيث قال: (العرب هَوَوا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفه والمرح والاسترسال بالشهوات) وصدق الله العظيم إذ يقول) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقّ

عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (ومنذ أن بدأ الضعف في الجانب الخلقي عند بعض مسلمي الأندلس بالظهور كعرض من أعراض بعدهم عن منهج الله انتاب الوجود الإسلامي هناك نوع من الضعف وذلك لأن كل تقدم حضاري وسياسي وسمو فكري وارتفاع معنوي وأية عزة في السلطان كان مرده إلى التمسك بالإسلام، ومرتهنا بمقدار الالتزام بشريعته وفي البداية قد يكون من المناسب أن نبين قبل حديثنا عن عوامل سقوط بلاد الأندلس حقيقة تاريخية هامة وهي: أن سقوط الأندلس بيد العدو النصراني بدأ حقيقة في وقت مبكر من تاريخ المسلمين بتلك الديار، حيث يستطيع الراصد لذلك التاريخ أن يقول: إن بداية الانحسار الإسلامي في الأندلس كان منذ أن سقطت الدولة الأموية هناك، وبعد أن قام على أنقاضها العديد من الدويلات الإسلامية المتناحرة المتنازعة التي صورها الشاعر بقوله:

مما يزهدني في أرض أندلسٍ أسماء معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

ولعل مما يؤكد هذه الحقيقة أن مسلمي بلاد الأندلس لم يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بعد سقوط الخلافة الأموية هناك بل بقوا متنازعين متناحرين فيما بينهم حتى بدأ الضعف بهم واضحاً نتيجة لتزايد الخطر

**النصراني ضدهم، الأمر الذي دفعهم إلى الدخول في سلطان دولة المرابطين ثم الموحدين، وتتأكد هذه الحقيقة إذا تذكرنا أن الخطر النصراني ازداد ضد المسلمين هناك حينما ضعفت مساعدات مسلمي المغرب لإخوانهم مسلمي الأندلس**

**بوسعنا أن نقول أن سقوط مدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ كان مقدمة لسقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ وقد أدرك هذه الحقيقة الشاعر الأندلسي المسلم الذي هز وجدانه سقوط طليطلة سنة ٤٧٨ هـ فعرف أن ذلك له ما بعده حيث قال محذراً إخوانه المسلمين هناك:**

**حثوا رواحلكم يا أهل أنلدلس فما المقام بها إلا من الغلط**

**السلك يُنثر من أطرافه وأرى سلكَ الجزيرة منثوراً من الوسط**

**من جاور الشر لا يأمن عواقبه كيف الحياة مع الحيات في سفط**

**وهكذا نرى أن بداية الانحدار لمسلمي الأندلس كان في عهد ملوك الطوائف، وأن الضعف الذي حل بهم كان ضربة موجعة لم يستطيعوا التخلص من آثرها بعد ذلك بارغم من التئام شملهم النسبي في عهدي المرابطين والموحدين ومما لا شك فيه أن هذا الضعف التدرجي الذي أدى في النهاية إلى خروج المسلمين من تلك الديار لم ينشأ من فراغ كما**

**لم يكن وليد يومه أو ليلته، بل إنه كان نتيجة لعدة عوامل وأسباب نشأت في ظروف معينه فلما نمت وترعرعت تمخض عنها ضعفهم وخروجهم من الأندلس**

**كيف سقطت الأندلس؟**

**للسقوط أسباب كثيرة لا سبب واحد فهناك أسباب أساسية جوهرية، وهناك أسباب فرعية أو مساعدة**

**الأسباب الأساسية:**

**أولاً: ضعف العقيدة والانحراف عن المنهج:**

**أول سبب نقف أمامه، هو ضعف العقيدة والانحراف عن المنهج لما ضعفت العقيدة وانحرف المسلمون عن المنهج، حل بالمسلمين ما حل بهم ولهذا الضعف والانحراف صور منها:**

**1/التحالف مع النصارى والخضوع لهم ومجاملتهم:**

**التحالف مع النصارى بلغ ذروة رهيبة أودت بالأندلس، مفهوم الولاء والبراء، مفهوم الحب والبغض مفهوم العقيدة الصحيحة، ضعف في نفوس المسلمين وضعف في نفوس الولاة، وضعف في نفوس الملوك، فحل بالأندلس ما حل بها**

**خذوا مثلا من ذلك، من ذلك قصة أحد الولاة، واسمه أبو زيد هذا الرجل ثار عليه أهل بلنسية، فلما ثاروا عليه، وأرادوا خلعه قام وعقد لواء وذهب إلى ملك النصارى خاينوي واتفق معه، وعقد معه معاهدة، وكان من هذه المعاهدة أن يقوم أبو زيد، ويعطي ملك النصارى جزءاً من بلاد المسلمين، ويتنازل عن جزء من بلاد المسلمين، وأن يقدم الجزية لملك النصارى، تصوروا؟ المسلم الذي كان يقبض الجزية، أصبح يدفع الجزية في بلاد النصارى، ثم زاد على ذلك بأن اعتنق النصرانية، وأخذ يسير مع حلفائه النصارى في غزواتهم ضد بلاد المسلمين**

**مثال آخر: ابن الأحمر عقد معاهدة، مع ملك النصارى مع ملك قشتالة، ما هي هذه المعاهدة؟ معاهدة غريبة محزنة مبكية، نقول لا غرابة إذا سقطت الأندلس، إذا كان الحكام على مثل هذا المستوى من ضعف الولاء والبراء ومن المهادنة لأعداء الله: اتفق معه على أن يحكم ابن الأحمر مملكة غرناطة، باسم ملك قشتالة، وفي طاعته وأن يؤدي له جزية سنوية**

**ابن الأحمر ملك من ملوك المسلمين، يقدم الجزية لملك النصارى وأن يعاونه، ابن الأحمر يعاون ملك قشتالة ضد المسلمين، أو ضد أعدائه سواء كانوا من النصارى أو من المسلمين، وأن يقدم إليه عددا من الجند**

متى وأين طلب ذلك؟ وأن يشهد اجتماع المجلس النيابي القشتالي كواحد من أتباع ملك قشتالة، وسلم ابن الأحمر لملك قشتالة جيان وأرجونة وباركونة وقلعة جابر رهينة، ودليلا على حسن الطاعة وتنازل له أيضا عن بعض بلاد المسلمين

هذه نماذج مخزية، وسبب رئيس لأسباب سقوط الأندلس؛ لأنهم لم ينتبهوا إلى قوله تعالى) :يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ (ولم يفهموا ولم يستمعوا إلى قوله جل وعلا) :يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتّقُوا اللّهَ(

/2التشبه بالعدو وتقليده:

حينما دخل المسلمون بلاد الأندلس كانت لهم شخصيتهم الإسلامية المستقلة التي تميزوا بها عن غيرهم من الشعوب والأمم، وقد ظلوا خلال القرون الثلاثة الأولى للوجود الإسلامي هناك محافظين على تلك الشخصية التي تأصلت فيها الأخلاق والقيم النبيلة، ولكن حينما اعترى وجودهم الضعف، وعصفت بهم الفتن، وخف الوازع الديني عند بعضهم بدأوا بالتخلي عن بعض تلك الأخلاق والتأثر بأخلاق وعادات غريبة عليهم وعلى مجتمعهم، الأمر الذي جعل شخصيتهم الإسلامية تأخذ

بالاضمحلال ويسري فيها الضعف وقد أدرك هذا الأمر ابن خلدون حيث قال: ( إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشارتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله) كما ذكر ابن الخطيب أن جند مسلمي الأندلس تشبهوا بالنصارى في زيهم وأسلحتهم، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إن بعض مسلمي الأندلس قلد النصارى في الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم الدينية وهناك فئة أخرى من المسلمين كانت تحضر مجالس النصارى وتشاركهم أفراحهم، ومن هؤلاء منذر بن يحيى - صاحب سرقسطة - فقد بالغ في التشبه بالنصارى وموالاتهم حيث كان يحضر عقود المصاهرة التي كانت تتم بين أبنائهم كما أن حسام الدولة يحيى بن عبدالملك كان يقلد النصارى في اقتناء القرود حيث أهدى له ألفونسو السادس ملك قشتالة قرداً كان يفتخر به على ملوك الأندلس ومما لا شك فيه أن هذا الانهزام الذي مني به المسلمون في ذلك الوقت حينما تأثروا بالنصارى قد تمخض عنه كسر الحاجز النفسي الذي كان موجوداً عند المسلمين إزاء العدو النصراني الأمر الذي جعل مخالطتهم أو التأسي بهم أمراً مألوفاً

عند بعض المسلمين هناك، ولهذا خرجوا إلى ميادين الجهاد وهم غير آبهين بالعدو ولا مستعدين لحربه

/3الخلاعة والمجون والإنغماس في الشهوات والترف:

كان من مظاهر الضعف الخلقي عند مسلمي الأندلس في عصر ملوك الطوائف انتشار كثير من الأوجاع الخلقية بينهم، كالمجون والخلاعة وشرب الخمر والاستغراق في الملذات الجسدية والإكثار من الجواري والنساء حيث كان هذا الأمر قاسماً مشتركاً بين كثير من ملوك الطوائف وقد أسهب المؤرخون في الحديث عن هذا الأمر، فقد ذكر ابن حيان أن قرطبة حاضرة المسلمين هناك أصبحت مرتعاً خصباً لمزاولة تلك الرذائل، حيث كان ملوك الطوائف إذا احتاجوا إلى شيء من الملهيات يرسلون رسلهم إلى قرطبة للبحث والتنقيب عن الأوصاف التي يريدونها من الجواري، وأنه في شوال سنة ٤٢٢ هـ ورد على ابن الوليد بن جهور في قرطبة رسول المظفر بن الأفطس يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنس بهن فوجد له صبيتين ملهيتين عند بعض التجار واشتراهما له كما ورد على ابن الوليد بن جهور بقرطبة من الكتب في يوم واحد كتاب من ابن صمادح صاحب المرية يطلب فيها جارية عوادة، وكتاب من ابن عباد يطلب جارية زامرة، كما أن المعتمد بن عباد كان مولعاً بالنساء حيث

خلع ثمانمائة امرأة من أمهات الأولاد وجواري المتعة وإماء الخدمة وكان مجاهد العامري صاحب دانية والجزر الشرقية ذا شخصية مزدوجة فتارة كان ناسكاً وتارة يعود خليعاً فاتكاً لا يساتر بلهو ولا لذة، ولا يستفيق من شراب وبطالة، له ولغيره من سائر ملوك الطوائف من ذلك أخبار مأثورة أما هذيل بن خلف بن رزين فقد كان من أرفع ملوك الطوائف همة في اقتناء القينات حيث اشترى جارية بثلاثة آلاف دينار هكذا غرق أولئك القوم في مستنقع الفحش والرذيلة، وقد استغل هذا الأمر بعض الوزراء والموظفين الذين رغبوا أن يستبدوا بالحكم والسلطان، فأشغلوا حكامهم بإغراقهم في الملذات، وإشغالهم بالنساء اللائي كثرن وأخذ الكثيرات منهن تطمح في ولاية من تربيه من أبناء السلطان حتى يكون لها الحظوة والغلبة ويذكر الأمير عبدالله بن بلقين أن إشغال الحكام بالنساء كان أمراً مألوفاً عند وزراء دولة بني بلقين في غرناطة

أما شرب الخمر في قرطبة وغيرها من بلدان ملوك الطوائف فيبدو أنه أصبح أمراً لا غرابة فيه في ذلك العصر، ولهذا لما حاول ابن جهور منعها مدحه الشعراء ومنهم ابن زيدون وعبدالرحمن بن سعيد، كما ذكر المقري أن وادي اشبيلية لا يخلو من جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر و لعل القارئ لدواوين الشعر في ذلك الوقت يدرك كيف أن

وصف الخمرة والتغني بها كان أمراً مألوفاً عند كثير من شعراء ذلك العصر حتى قال أحدهم:

فجل حياتي من سكرها جرت مني الخمرة مجرى دمي

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على فئة معينة من الناس، بل كان كثير من الناس يقضون لياليهم أيقاظاً يجتمعون على الكؤوس حتى الصباح وكان للطرب والغناء نصيب عند أولئك القوم حيث كانوا يتفاخرون بكثرة آلاتهم ومجيديها حيث يقولون: عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك ولو حاولنا استقصاء ما ذكره المؤرخون حول الطرب والغناء في عهد ملوك الطوائف لطال بنا المقام

وقد بدأت أعراض تلك الأوجاع التي حلت بالمجتمع الإسلامي في الأندلس في تلك الفترة تظهر عياناً، فقد استخف بعض الناس بالدين، وتجردوا من الأخلاق والقيم الإسلامية، ولم يعد هناك وازع من دين أو ضمير، فقد ذكر ابن حزم أن إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة في الأندلس عشق غلاماً نصرانياً فوضع له كتاباً في تفضيل التثليث على التوحيد تقرباً إليه، كما يذكر أيضاً أنه في ذلك العصر قد عظم البلاء فهان القبيح ورق الدين حتى رضي الإنسان بالفضائح والقبائح مقابل وصوله إلى مراده وشهوته، وقد حكي كثيراً من القصص حول هذا

الموضوع منها ما ذكر حول عبدالله بن يحيى الأزدي المعروف بابن الحريري فإنه رضي بإهمال داره وإباحة حريمه والتعريض بأهله طمعاً في الحصول على بغيته من فتى كان عشقه(

هذه أهم مظاهر الضعف في الجانب الخلقي التي حلت بالمجتمع الإسلامي في عهد ملوك الطوائف، وقد انعكست آثار ذلك على قوة المسلمين فأضعفتها ومما لا شك فيه أن هذا الضعف الذي مني به ملوك الطوائف قد جعل مسلمي الأندلس يصابون بخيبة أمل لأنهم أدركوا أن زمام الموقف أصبح بيد النصارى المتربصين ولم يكن هذا الشعور قاصراً على المسلمين بل تعداهم إلى العدو النصراني الذي أدرك أن حصون المسلمين الداخلية قد ضعفت وأن الفرصة أصبحت مهيأة له لدخول الثغور والحصون الخارجية ولهذا وضع خطة حربية تتناسب مع ذلك الواقع وقد أبان هذه الاستراتيجية الحربية فرناندو بن شانجه ملك جليقية أثناء حصار النصارى لمدينة طليطلة سنة ٤٧٨ هـ حيث قال لأهلها الذين خرجوا يطلبون الصلح معه لما أعيتهم المقاومة ( ما أجيبكم إلى سلم، و لا أعفيكم من حرب، فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم فقد سكنتموها ما قضي لكم، و قد نُصرنا الآن عليكم برداءتكم، فارحلوا إلى عدوتكم - يعني بلاد المغرب - واتركوا لنا بلادنا، فلا خير في سكناكم معنا اليوم(

هكذا كشر النصارى عن أنيابهم العدائية فأبانوا خططهم ونواياهم ضد الإسلام والمسلمين هناك، كما بدأوا بعملياتهم الحربية والتي اسموها بحرب الاسترداد حيث تمكنوا خلالها من اجتياح العديد من المدن والثغور الإسلامية

اسمعوا ماذا يقول المؤرخ، وهو مؤرخ نصراني يقول: العرب هووا عندما نسوا فضائلهم التي جاءوا بها، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والمرح والاسترسال في الشهوات هذا نصراني يعترف بالحقيقة يقول العرب هووا متى؟ عندما ذهبوا، ولجئوا إلى المعاصي، ونسوا الأهداف التي جاءوا بها ويقول شوقي أبو خليل، واسمعوا إلى هذه الكلمات المعبرة: والحقيقة تقول: إن الأندلسيين في أواخر أيامهم، ألقوا بأنفسهم في أحضان النعيم، وناموا في ظل ظليل من الغنى الواسع والحياة العابثة، والمجون وما يرضي الأهواء من ألوان الترف الفاجر، فذهبت أخلاقهم كما ماتت حميتهم وحمية آبائهم البواسل، وغدا التهتك عن أي شيء يتحدث؟ عن أي قرن يتحدث؟ عن أي زمن يتحدث؟ وغدا التهتك والخلاعة والإغراق في المجون، واهتمام النساء بمظاهر التبرج والزينة بالذهب واللآلئ، من أبرز المميزات أيام الاضمحلال، لقد استناموا للشهوات والسهرات الماجنة والجواري الشاديات وإن شعبا

هوي إلى هذا الدرك من الانحلال والميوعة، لا يستطيع أن يصمد رجاله لحرب، أو جهاد

وخذوا بعض الأمثلة على هذا الأمر ذكر عدد من المؤرخين، أن أسباب مقتل ابن هود، أنه تنازع هو ونائبه ووزيره محمد الرميمي، بسبب النـزاع على جارية نصرانية، كل منهم يريدها لنفسه، والعدو يتربص بهم

ويقول عبد الله عنان في نهاية الأندلس، لم يلبث أبو الحسن، وهو أحد ملوك بني الأحمر، بل من آخرهم، أحد زعماء غرناطة، بل ومن آخرهم أن ركن إلى الدعة وأطلق العنان لأهوائه وملاذه، وبذر حوله بذور السخط والغضب، بما سار به في شئون الرعية والدولة، وما أثقل به كاهلهم من صنوف المغارم وما أغرق فيه من دروب اللهو والعبث، وهكذا عادت عوامل الفساد والانحلال والتفرق الخالدة، تعمل عملها الهادم، وتحدث آثارها الخطرة ثم يقول: ذلك أن أبا الحسن ركن في أواخر أيامه إلى حياة الدعة، واسترسل في أهوائه وملاذه، واقترن للمرة الثانية بفتاه نصرانية رائعة الحسن، أخذت سبية في إحدى المعارك، واعتنقت الإسلام كما يقولون؛ ولهذا حل بالأندلس ما حل بها، وانشغل

المسلمون في بناء القصور، وبناء الدور، وبناء المزارع والبساتين، وعدوهم يعبث، ويعمل عمله الرهيب حتى أتاهم على حين غرة

/4الاختلاف بين المسلمين:

يأتي الرجل من ملوك المسلمين، ويتفق ويحالف الملك النصراني ضد أخيه ضد أخيه! وهذا أمر محزن جداً، يتقاتلون ويتناحرون على السلطة وعلى الشهوات

ثانياً: إلغاء الخلافة وبداية عهد الطوائف:

عهد الطوائف عهد التفكك وعهد من السنوات الصعبة من الفرقة والتنافس، والتشتت والضياع بدأ عندما أعلن جهور بن محمد بن جهور إلغاء الخلافة، ويكفي أن نعلم أنها بلغت دول الطوائف في فترة من الفترات بلغت سبعا وعشرين طائفة، أو إمارة أو دويلة تتنافس فيما بينها، بدل أن كانت الأندلس دولة واحدة تحولت إلى كم؟ إلى سبعة وعشرين دولة

وهذه الطوائف، كانت سببا رئيسا في هذا الجانب، ولذلك يقول ابن حزم يصف ملك الطوائف وما جر على المسلمين، يقول ابن حزم رحمه الله، وهو من علماء الأندلس: والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية

لأمورهم لبادروا إليها من التنازلات التي قدموها فنحن نراهم يستمدون النصارى، فيمكنونهم من حرب المسلمين لعنهم الله جميعاً وسلط عليهم سيفا من سيوفه

ثالثاً: تخلي بعض العلماء عن القيام بواجبهم:

إذا تخلى العلماء عن القيام بواجبهم، فعلى الأمة العفاء، إذا تشاغل العلماء، إذا تكاسل العلماء، إذا لهى العلماء حل بالأمة الدمار، وهكذا كانت الأندلس، تشاغل كثير من العلماء بشئونهم الخاصة عن شئون أمتهم يقول المقري: من جملة تغافل أهل الأندلس أن العدو أطل عليهم، يجوس خلال الديار، ويقطع كل يوم طرفا ويبيد أمة، والباقون منهم صموت عن ذكر إخوانهم، لهاة عن بثهم ما يسمع بمسجد من مساجدهم مذكراً لهم، أو داع فضلا عن نافر إليهم أو ماش، ما كان العلماء يذكرون الولايات، التي تسقط من ولايات المسلمين

ويقول آخر: وسبب انصراف عدد من العلماء بدراساتهم إلى العناية المبالغة بالفقه المذهبي وفروعه

عندما دخل الفرنسيون إلى سوريا كان العلماء هل يجوز أن يتزوج الشافعي من حنفية؟ أو يأخذ الحنفي شافعية؟ كأنها من أهل الكتاب، والفرنسيون يبسطون نفوذهم على الشام

**وفي الأندلس ضاعت الأندلس، لما انشغل كثير من العلماء، كما يقول هذا المؤرخ في الخلافات والقضايا الفرعية عن مشكلات أمتهم في ذلك البلد تعاني معاناة مرة من واقع سياسي مؤلم، والعلماء قد انشغلوا في قضايا فرعية**

**إذا تساهل العلماء، وتخلوا عن واجبهم حل بالأمة النكبة والدمار، وهكذا تخلى بعض علماء الأندلس عن واجبهم فحل ما حل اسمعوا ماذا يقول ابن حزم وهو ممن قام بواجبه رحمه الله يقول: ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم**

**رابعاً: عدم سماع ملوك الطوائف لنصح العلماء وتحذيرهم:**

**إذا لم يسمع ولاة الأمور إلى نصح العلماء وإلى تحذيرهم حلت الأمة الكارثة**

**ملوك الطوائف ما كانوا يستمعون لنصح العلماء كأبي الوليد الباجي، وابن حزم وابن عبد البر وغيرهم، ولذلك حدث ما حدث حتى يقول أحد المؤرخين: لكن مع هذه الأحوال وتلك الصيحات من العلماء، فإن أغلب ملوك الطوائف بقوا في غيهم سادرين، ففوتوا فرصة الالتحام ودفع**

**المصيبة ولذلك سقطت الأندلس لما لم يسمع للعلماء، ولم يسمع لتحذيرهم، ولم يسمع لنصحهم**

**خامساً: مؤمرات النصارى ومخططاتهم:**

**لقد أحكموا المؤامرة، ودبروا، وخططوا والمسلمون في لهوهم، وعبثهم ومجونهم وقصورهم ودنياهم، فحلت الكارثة**

**إذاً تخطيط النصارى سبب رئيس من سقوط الأندلس، حتى يقول أحد المؤرخين وقد وضع فرناندو برنامجه المحكم؛ لكي يستغل أسر ملك غرناطة ويستعين به على تنفيذ برنامجه المدمر؛ ولذلك جاء ما يلي:**

**وحدة كلمة النصارى: وهو سبب من أسباب سقوط الأندلس، في الوقت الذي تحدثنا فيه عن تفرق المسلمين، نجد في المقابل وحدة كلمة النصارى للقضاء على المسلمين حتى يقول ابن عذاري، واصفا استعداد النصارى لموقعة العقاب، وهي من المواقع التي هزم فيها المسلمون هزيمة منكرة، وقتل فيها عدة آلاف من المسلمين، يقول هذا المؤرخ: حيث ذكر أن ملك قشتالة بث القسيسين والرهبان من البرتغال إلى القسطنطينية، ينادون في البلاد من البحر الرومي إلى البحر الأخضر، غوثا غوثا، ورحمة رحمة، أي ينادون بني جلدتهم، فجاء عباد الصليب**

من كل فج عميق ومكان سحيق، وأقبلوا إليه إقبال الليل والنهار من رؤوس الجبال وأسياف البحار، لاحظوا هذه الوحدة بين النصارى

ويذكر في موضع آخر أن البابا فرستان الثاني توسط بين مختلف الأمراء الأسبان، فوفق بينهم، وسرعان ما نسوا خصوماتهم، فتماسكوا وهم يعتقدون جازمين، بأنهم جاءوا من كل أصقاع أوروبا لنصرة دينهم على دين آخر، ونجد أيضا أن اتحاد ملك قشتالة وأراجون بزعامة فرناندو الخامس وإيزابيلا من أسباب سقوط الأندلس، وعلى يد هذا الملك، وهذه الملكة سقطت الأندلس، حتى إن هذا الرجل الذي هو النصراني فرناندو الخامس تزوج بإيزابيلا، وهي ملكة قشتالة واتحدا في مملكة واحدة لإسقاط الأندلس، وفعلا هما اللذين أسقطا الأندلس، اتحدا اتحادا وصل إلى حد الزواج، ووحدا بين المملكتين، وأصبحت مملكة واحدة، وعلى يديهما سلم ابن الأحمر الأندلس لهما هذه آثار الاتحاد

سادساً: غدر النصارى ونقضهم للعهود:

بعض طلاب العلم، يتصوروا أن اليهود هم الذين يغدرون، أما النصارى فلا، أو على الأقل يقولوا: إن النصارى أقل غدرا وغدرهم قليل، وهذا خطأ رهيب، النصارى لا يقلون في الغدر وفى نقض العهد والميثاق عن اليهود، سواء بسواء، والذى يريد أن يفرق بين اليهود والنصارى،

ويتصور أن النصارى أقرب إلى المسلمين، أو أنهم يوفون بعهودهم، فقد أخطأ وأقول له استمع إلى قوله تعالى) :وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ(

إذا كانوا خانوا العهد مع الله سبحانه وتعالى هل نأمل منهم أن يفوا بالعهود معنا؟ أسأل هؤلاء الذين يتصورون أن النصارى يوفون بعهودهم، فأقول لهم: ما يسمى بالأمم المتحدة، أو مجلس الخوف من الذي يسيطر عليه؟ هم النصارى

هل في يوم من الأيام وفوا بعهد من العهود للمسلمين؟ لا، استخدم مجلس الخوف وهيئة الأمم، وعصبة الأمم، قبل ذلك ضد المسلمين؛ ولتفريق المسلمين ولتسليم بلاد المسلمين إلى النصارى

ومع ذلك خذوا هذه الأمثلة من الأندلس، دخل النصارى أبدة ونقضوا العهد المقطوع، واقتحم الجنود النصارى المدينة، وقتلوا من أهلها ستين ألفا، خانوا العهد ونقضوا العهد، وقتلوا ستين ألفا، وسبوا مثلهم أو مثل هذا القدر، وتعترف الرواية النصرانية نفسها بهذه الشناعات، وتقدر من قتل وسبي من أهل أبدة بمائة ألف، ويقدر بعضهم أن السبايا وحدهم مائة ألف، وهذا بأمر من أحبارهم وباباواتهم وملوكهم، وعندما احتل

**الطاغية الأرغوني بلنسية، ووقع المعاهدة رحل عنها عشرات الألوف من أهلها، وحولت المساجد إلى كنائس، ونال المسلمين كل أنواع الاضطهاد، وتقلبوا في فنون الأذى، وتعدى الأحياء إلى الأموات، فنبشت القبور كما ذكر ابن الأبار في التكملة، )لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلّاً وَلا ذِمّةً(**

**سابعاً: ترك الإعداد:**

**لم يترك المسلمون في الأندلس الجهاد فقط على أساس أنه فرض عين أو فرض كفاية، بل تركوا معه الإعداد للجهاد وتحولوا إلى جيوش نظامية متخلفة برواتب هدفها الحفاظ على الأسرة الحاكمة**

**ثامناً: فساد النظام السياسي:**

**وقيامه على الحكم المطلق البعيد عن الشورى والعدل، مما أصاب الأمة بالظلم وعدم الولاء وهما بداية خراب الممالك**

**الأسباب الفرعية أو المساعدة:**

**أولاً: الأنانية وحب الذات:**

**مما لا شك فيه أن الإيثار والتعاون من أهم سمات المجتمع الإسلامي، فقد دعا الإسلام إلى هذا الأمر وأصله في نفوس المسلمين، قال تعالى )وَالّذِينَ تَبَوّءُوا الدّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا**

يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (وقد دخل المسلمون الفاتحون الى بلاد الأندلس بهذه الأخلاق الطيبة، كما تربى أفراد المجتمع الإسلامي هناك على هذا الخلق الاسلامي الأصيل عامتهم وخاصتهم، ولهذا قال أحد الباحثين: (بقينا في الأندلس ما بقينا مع الله، وضاعت الأندلس لما أضعنا طريق الله، بقينا في الأندلس بهمة عبدالرحمن الداخل الذي قال لما نزل من البحر إلى بر الأندلس وقد قدم إليه خمر ليشرب فأبى وقال : إني محتاج لما يزيد في عقلي لا ما ينقصه، فعرف الناس من ذلك قدره، ثم أهديت له جارية جميلة فنظر إليها وقال: إن هذه لمن القلب والعين بمكان، وإن أنا لهوت عنها بمهمتي فيما أطلبه ظلمتها، وإن لهوت بها عما أطلبه ظلمت مهمتي فلا حاجة لي بها الآن) وقد سار المسلمون بالأندلس على هذا النهج حتى آخر عمر الدولة الأموية حيث يذكر ابن عذاري أن المنصور بن أبي عامر كان يسهر على مصالح رعيته وكانت متابعته تستنفد منه كل وقته لدجة أنه كان لا ينام إلا سويعات قليلة متفرقة فلما قيل له: قد أفرطت في السهر وبدنك يحتاج إلى أكثر من هذا النوم، أجاب قائلاً إن الملك لا ينام إلا إذا نامت رعيته، ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين نائمة وفي آخر عمر الدولة الأموية ضعف تمسك الناس بكثير من

الأخلاق الإسلامية، فانعكست آثار ذلك على المجتمع الإسلامي فضلاً عن الدولة الأموية التي بدأت تظهر عليها علامات الهرم والشيخوخة حينما خف اعتبارها عند الناس، لأن قادتها فقدوا واحداً من أهم مقومات دولتهم حيث يذكر المؤرخون أنه حينما أعلن سقوط الدولة الأموية في قرطبة سنة ٤٢٢ هـ مشى البريد في الأسواق والأرباض بألا يبقى أحد من بني أمية في قرطبة ولا يكنفهم أحد من القرطبيين

وبعد أن قامت دولة ملوك الطوائف على أنقاض الدولة الأموية ازداد الأمر سوءاً حيث تنافس أولئك القوم على السلطة وتناحروا من أجلها، فانتشر بينهم العداء المستحكم والخصام الدائم، فالكثير منهم لا هم له إلا تحقيق مصلحته الذاتية واشباع أنانيته وتثبيت أقدامه في السلطة ولو على حساب مصلحة المسلمين، وكأن الأندلس إنما وجدت له ولمصلحته الذاتية مهما كان قصير العمر ذليل المكانة مهزوز القواعد، ولهذا جعل الله بين أولئك الملوك والأمراء من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، فلم يتعاونوا على بر أو تقوى أو يسعوا لمصلحة إسلامية، بل انصبت كل جهودهم عل توفير ما يخدم مصالحهم الخاصة هكذا كان واقع أولئك القوم، ويجد الدارس لتاريخهم العديد من الأمثلة والحوادث التي تدل على صحة ذلك وعلى أنهم انشغلوا بأمورهم الخاصة وغفلوا عن الخطر النصراني الذي كان يتهدد هذه الجهة

الشمالية من بلادهم، ومن الأمثلة على ذلك أنه حينما أغار فرناندو ملك ليون على بطليوس بلاد المظفر ابن الأفطس فدمرها واستباح حريمها، وانتهب أموالها وَرَدَ خبرها على المأمون ابن ذي النون صاحب طليطلة، ولما دخل عليه وزيره أبو المطرف بن مثنى بعد وصول الخبر إليه وجده شديد الإطراق والضيق، وأخذ يفرج عنه معتقداً أن ما أصابه من ضيق كان بسبب ما سمعه مما أصاب المسلمين في بطليوس، فلما فهم مقصد ابن مثنى أعرض عنه وقال له: ألا ترى هذا الصانع - يعني عريف بنيانه - صبرت له وأغضيت له لكنه لا يمتثل لأمري وينغص علي لذتي ويستخف بإمرتي وقد ذكر المؤرخون العديد من الأمثلة التي قام بها المعتضد بن عباد من أجل تثبيت قدميه في السلطة حينما يرى أن سلطانه أصبح في خطر حيث تطاول على العديد من القادة والعلماء كما قتل ابنه من أجل هذا الغرض وكان ملوك الطوائف يسعون دائماً إلى إيجاد ما يدعمون به ملكهم ويثبت أقدامهم في السلطة، و من ذلك بذلهم العطاء الوافر للشعراء والأدباء الذين يقولون قصائدهم في مدحهم وقد أسرفوا في هذا الأمر إسرافاً لا مثيل له، وعلى سبيل المثال فقد منح المعتمد بن عباد الشاعر عبدالجليل بن وهنون ألفين من الدنانير على بيتين من الشعر، بينما منح المعتصم بن صمادح قرية بأكملها للشاعر أبي الفضل جعفر بن أبي عبدالله بن مشرف حينما أنشده قصيدته التي مطلعها:

قامت تجر ذيول العَصبِ و الحِبَر ضعيفة الخصر والميثاق والنظر

ولما بلغ منها قوله:

لم يبق للجور في أيامهم أثر إلا الذي في عيون الغيد من حَوَرِ

قال المعتصم: (لقد أعطيتك هذه القرية نظير هذا البيت الواحد ووقع له بها وعزل عنها نظر كل وال) وهكذا يتبين لنا من خلال هذه الأمثلة التي ذكرناها أن الأنانية وحب الذات قد تأصلت عند ملوك الطوائف حتى أصبحت خلقاً مألوفاً لدى الكثير منهم يصعب عليهم التخلص منها أو السعي لغيرها وهذا بلا شك كان من أكبر معاول الهدم التي أصابت قوة المسلمين في تلك الفترة، وقد أدرك هذه الحقيقة عدد من مؤرخي تلك الفترة، فقال ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس: (دهرنا هذا قد غربل أهليه أشد غربلة فسفسف أخلاقهم، وسفه أحلامهم، وخبث ضمائرهم، فاحتوى عليهم الجهل، يعللون نفوسهم بالباطل(

كما عد ابن حزم هذا الانحراف الذي مني به ملوك الطوائف بأنه منزلق خطير، وظاهرة لها ما بعدها من الآثار االسلبية حيث قال: (اللهم إننا نشكو إليك تشاغل أهل المماليك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سبباً في انقراض

أعمارهم وعوناً لأعدائنا عليهم عن حاجة ملتهم حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة، وأنطقت ألسنة أهل الكفر والشرك) وبالإضافة إلى هذا فقد ذكر ابن حزم في موضع آخر أن الأنانية وحب الذات قد تأصلت في نفوس أولئك الحكام حتى كأن الأندلس إنما خلقت لهم ولتحقيق رغباتهم، وأنهم يقدمون في هذا السبيل ومن أجل هذا الغرض تنازلات كبيرة حيث قال في ذلك: (والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون النصارى فيمكنوهم من حُرم المسلمين وأبنائهم وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس) وهكذا نرى كيف أن الأنانية وحب الذات عند ملوك الطوائف قد جعلتهم يقدمون التنازلات الكثيرة للنصارى من أجل البقاء في السلطة حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة المسلمين العامة

ثانياً: التكاثر المادي وتبديد طاقة الأمة:

صرفت أموال طائلة في بناء القصور المترفة والمساجد المتحفية ووسائل الزبنة والراحة والدعة ونذكر على سبيل المثال زهراء الناصر، وزاهرة ابن أبي عامر، وحمراء بني الأحمر، وهي مجرد أمثلة

ثالثاً: الاستهانة بالدماء:

**بسبب معارك ضارية بين المسلمين من أجل نزوات الحكم وشهوات النفس ودوافع العنصرية**

**رابعاً: وللنساء نصيب:**

**حيث تدخل بعضهن في شئون الحكم فنشرن البغضاء والصراعات من وراء الكواليس كما كان للنساء النصرانيات المتزوجات من أبناء الأسر الحاكمة دور بارز في الفساد**

**خامساً: تعويق حركة الدعوة:**

**صار الاعتماد في فترة من الفترات على الحروب من أجل الدولة لا من أجل الدعوة وقد انتصر المنصور بن أبي عامر في سبع وخمسين معركة كلها حروب دولة ومع ذلك سقطت الأندلس في مستنقع عصر الفتنة وملوك الطوائف بعد وفاته بأقل من عشر سنوات**

**سادساً: عقوق بعض الأبناء لآبائهم:**

**ومن ذلك عقوق الأمير علي بن سعد لوالده سعد بن علي وقيامه بخلعه تحقيقاً لمؤامرة مما أدى إلى تدخل النصارى لكن هذا لا يعني أن والده سعد بن علي كان مخلصاً، فقد كان عقوق ابنه له انتقاماً من الله من، فإنه وصل إلى الحكم بمساعدة ملك النصارى هنري الرابع، كما أنه قدم**

ولده علي وسبعين فارساً رهينة لهنري النصراني ليساعده ضد محمد الهادي عشر سلطان غرناطة وبناء على هذا فقد وضع هنري الرابع لجيشه خطة تقتضي تدمير قرى المسلمين الحيوية واستمر النصارى ثلاثة أسابيع في حرق القرى والمحاصيل الزراعية من أجل إفقار غرناطة وسلطانها على المدى الطويل وكل ذلك بسبب حماقة سعد بن علي وموالاته للنصارى واستعانته بهم

سابعاً: نظام ولاية العهد الوراثي:وهذا الأمر من أسباب سقوط الأندلس لأنه كان يتم حتى مع عدم الأهلية والجدارة، وأكبر مثل هو تولية الحكم بن عبدالرحمن الثالث لابنه هشام الذي لم يبلغ الحلم والمتخلف عقلياً فكانت ولايته سبباً في مصائب كثيرة ارتكبها باسمه المنصور بن أبي عامر وأم هشام صبح، بل تعتبر ولاية هشام من أبرز أسباب سقوط بني أمية في الأندلس

وأخيراً:

كما تقف أمريكا والدول الأوربية اليوم وراء الكيان اليهودي تدفعه للامتداد وتغذيه وتقويه وتجعله مع عدده القليل مساوياً في القوة للعرب الذين يزيد عددهم عن خمسين ضعفاً، كذلك كانت أوربا تقف وراء مملكتي قشتالة وأرجون، مستخدمة وسائل دبلوماسية وكنسية

وعسكرية، وكان العرب في الأندلس يخدعون أنفسهم وتخدعهم الأماني مثلما ينخدع عرب اليوم تماماً والتاريخ يعيد نفسه، وبالتالي فكما كانت ممالك الشمال من أسباب سقوط الأندلس كذلك أوربا الصليبية اليوم من أهم أسباب ما نحن فيه اليوم

الدروس والعبر:

كل ماذكر من أسباب هي دروس وعبر، لكن من أبرز الدروس:

أولاً: دور العلماء:

ذكرنا أن من أسباب سقوط الأندلس، عدم قيام بعض العلماء بواجبهم، ومعذلك فإننا نجد أن هناك من قام بواجبه والعلماء هم سراج الأمة، العلماء هم ورثة الأنبياء، العلماء هم السياج الواقي، هم الحصانة، هم العلاج إذاقاموا بواجبهم، وإذا تخلوا عن واجبهم فلا يلوموا إلا أنفسهم، إذا تخلوا عن واجبهمعن الرسالة التي اصطفاهم الله لها وأمرهم بها، فسيحل بهم كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالمولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليوشكن الله أن يعمكم بعقاب منعنده، فتدعونه، فلا يستجاب لكم،) عن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان

داودوعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون)

وعلىالعلماء أن يؤدوا واجبهم حتى لو لم يستمع لهم يقول ابن حزم، مبيناً دور العلماء: فالمخلص لنا فيها الإمساك للألسنة جملة واحدة إلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمؤسف أنكثيرا من طلاب العلم، يمسكون عن الأمر بالمعروفوالنهي عن المنكر

من عجز عن ذلك وبذل جهده فهو معذور، ولكن الشيء الذي لايعذر فيه أحد أن يساعد أحد من طلاب العلم الظالم على ظلمه، وأن يزين له الأمروأن يقره على العمل الباطل الذي هو عليه

ثانياً: أثر الجهاد في حياة الأمة:

الأمة بدون الجهاد لا خير فيها، الأمة بدون الجهاد لا حياة فيها، قال تعالى) :أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواالْجَنَّةَ وَلَمّا يَعْلَمِ اللّهُ الّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَالصّابرين (ويقول جل وعلا) :انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوابأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ (لما دخل طارق وموسى، وجاء عبد الرحمنالداخل وعبد الرحمن الناصر بقيت الأمة، لما قام بعض ملوك الطوائف بالجهاد بقيتالأمة، كوقعة الزلاقة والأرك وغيرها، ولكن عندما تهاون المسلمون وتخاذلوا حلبالمسلمين الكارثة

**ثالثاً: أثر المعاصي والذنوب:**

**المعاصي ما وقعت في بلد وفى أمةإلا فتكت بها اسمعوا إلى قصة أبي الدرداء رضي الله عنهعندما فتح المسلمون قبرص، وبدءوايتقاسمون الغنائم، ويجمعون الغنائم، بكى، فجاءه أحد المشاركين في هذهالمعركة، وقال له: يا أبا الدرداء هذا يوم فرح فكيف تبكي؟ قال له ويحك! ما أهونالخلق على الله إذا تركوا أمره، هذه روما التي نقتسم أموالها الآن الروم عندماعصوا الله، انظر كيف حل بهم، ما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره!**

**كثرت الذنوب والمعاصي في بلادالمسلمين، الشوارع ملئت بالمعاصي، البيوت امتلأت بالمعاصي، حتى قال قائلهم: حتىإننا نرى المعاصي في المساجد**

**رابعاً: أهمية التعاون بين المسلمين:**

**أيضا من الأشياء المفيدة، دورالمغرب في مساعدة أهل الأندلس، وأهمية التعاون بين المسلمين) وَتَعَاوَنُوا عَلَىالْبرّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَان)**

إن العوامل الداخليةداخل المجتمع المسلم، هي التي تؤثر أكثر من تأثير الأعداء، أعداؤنا لا يستطيعون أنيعملوا فينا شيئا إلا إذا قدمنا لهم التسهيلات لهذا الأمر من الملاحظ سرعة سقوطالأندلس، سقطت الأندلس في بعض الفترات بسرعة، تصوروا أنه في ثلاثين سنة فقط، من عامسبعة وعشرين وستمائة إلى خمسة وخمسين وستمائة هجرية سقط معظم قواعد الأندلس، فيقرابة ثلاثين سنة سقطت معظم قواعد الأندلس بسبب ماذا؟ بسبب الأسباب التي ذكرت لكم

شمس تغرب، وشمس تشرق، في الوقت الذي سقطت فيه الأندلس، وسلمت فيهاالأندلس على صحفة من ذهب، كان محمد الفاتح قد افتتح القسطنطينية، وبزغ نور الإسلامفي تركيا، وفى الوقت الذي تصورت أوروبا أنها محت الإسلام من الغرب، جاءها الإسلاممن الشرق عن طريق تركيا وهذا دين الله سبحانه وتعالى ولكن أين العاملون؟

هذا درس من دروسالأندلس، دين الله) وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُالْمَاكِرِين) (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْوَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون (نعم هذا دين الله، لكن أين نحن؟) وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم ثُمّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكم)

أقسام العقيدة وأصولها

**العقيدة قسمان:**

**-1عقيدة صحيحة**

**-2عقيدة فاسدة**

**أما العقيدة الصحيحة فهي :العقيدة الصحيحة السليمة القويمة التي بعث الله تعالى بها الرسول، والتي بلغها الرسل - صلوات الله عليهم - إلى الناس في أي مكان وزمان، وهي التي ارتضاها الله تعالى لخلقه جميعًا وهي عقيدة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ؛ لأنها منزلة من عند العليم الخبير؛ وذلك لأن منزلها ومرتضيها هو الواحد الأحد الذي لا يتغير ولا يتبدل جل جلاله**

**وهذه العقيدة الصحيحة لا توجد اليوم إلا في الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين، وهي موجودة في أصليه) :الكتاب والسنة (ندية طرية صافية، مشرقة، تقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيمانًا ويقينًا وحياة، قال تعالى :( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) ]الشورى: ٥٢[**

**إذن العقيدة الإسلامية :هي العقيدة الصحيحة التي تمد الإنسان بكل ما يحتاجه في حياته، وترد كل تساؤلاته، وتشفي جميع ما في صدره، فهي**

**للإنسان ضرورية ضرورة الماء والهواء؛ فالإنسان بدون هذه العقيدة لا قيمة له ولا وزن، فهو في حيرة وفي تخبط ولا يدري من أين، ولا إلى أين، ولا يعلم وظيفته الحقيقية ولا مهمته الأساسية التي من أجلها خلق، ولا يعلم شيئًا عن مصيره الحتمي الذي ينتظره**

**فلا حياة ولا نجاح ولا فلاح في الدنيا والدين إلا بهذه العقيدة الصحيحة السليمة**

**أما العقيدة الفاسدة :فهي كل عقيدة تخالف العقيدة الإسلامية ـ العقيدة الصحيحة ـ سواء أكانت عقيدة أهل الكتاب أم عقيدة الفرق والجماعات والمذاهب والأنظمة المتعددة والمختلفة**

**أما بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية) أهل الكتاب (فقد دخل عليها التحريف والتغيير والتبديل، وقد تم ذلك على يد أبنائها، فانحرفوا عن الطريق المستقيم والنهج القويم**

**أما بالنسبة للمذاهب والتيارات والفرق والأنظمة المختلفة مثل )**

**الشيوعية والرأسمالية والوطنية والقومية (فكل هذه المعتقدات هي عند أصحابها عقيدة يمشون عليها، ويحيون من أجلها، ويضحون بالغالي والرخيص من أجل الذود عنها ونشرها، فهي باطلة فاسدة هابطة، وذلك لأنها من نتاج وأفكار وأذهان البشر ومن وضع عقولهم، وحق لها أن**

**تكون عقائد فاسدة؛ لأنها تخالف خالقها وتحارب فطرتها وتتمرد على موجدها[1]**

**وبعد هذه المقدمة السريعة عن أهمية العقيدة، ندخل في صلب الموضوع ألا وهو) أصول العقيدة الإسلامية (أو) أركان الإيمان)**

**أصول العقيدة الإسلامية (أركان الإيمان):**

**قبل أن نتحدث عن أصول العقيدة الإسلامية) أو أركان الإيمان (لا بد أن نبين أن هناك ضوابط لدراسة مسائل الاعتقاد، ومن أهمها ما يلي:**

**أولًا :كون العقيدة الإسلامية غيبية، وليست أمورًا محسوسة، فالله غيب، وكذلك الملائكة واليوم الآخر والقدر؛ أما الرسل والكتب فالإيمان بها إنما يكون بالتصديق بنسبتها إلى الله؛ أي كونه أرسل الرسل وأنزل الكتب وهذا غيب - أيضًا-**

**ثانيًا :مصدر هذا الغيب هو الوحي السماوي الصادق، قال الله تعالى :( الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ) ]البقرة: ١-٣]، والإيمان بالغيب يقابل عدم التصديق إلا بالمحسوس كما هي نظرية الشيوعيين**

**ثالثًا :مسائل الاعتقاد يقين، ولا تصح العقيدة مع الشك، فالشك ينافي الاعتقاد، قال تعالى :( وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ) ]التوبة: ٥٤]**

**رابعًا :العقيدة في الإسلام وحدة مترابطة، إذا هدم أصل من أصولها؛ خرج صاحبها من دائرة الإسلام؛ فالذي يكفر باليوم الآخر، أو الجنة أو النار، أو كذب الرسل أو واحدًا من الرسل، أو كذب بالملائكة، أو واحدًا منهم ممن أخبر الله تعالى به وهو يعلم؛ فهو كافر، قال تعالى في الذين يكفرون ببعض أصول الاعتقاد :**( إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ) ]النساء: ١٥٠، ١٥١][2]

**ومن هذه الآية الكريمة يتبين لنا: أن القرآن الكريم ينكر على من يريد أن يفرق بين الله ورسله، ويقرر القرآن الكريم الإيمان الكامل بالله ورسله بدون تفريق بين الله ورسله، وبدون تفريق كذلك بين رسله جميعًا وبهذا الشمول كان الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله من الناس غيره؛ لأنه هو الذي يتفق مع وحدانية الله، ومقتضيات هذه الوحدانية**

ولذلك عبرت الآية الكريمة عمن يريد أن يفرق بين الله ورسله) بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بالرسل (وعمن يريدون التفرقة بين الرسل) بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا ببعضهم (عبر عن هؤلاء وهؤلاء بأنهم (الذين يكفرون بالله ورسله، وعد تفرقتهم بين الله ورسله، وتفرقتهم بين بعض رسله وبعض، كفرًا بالله وبرسله ( أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا )] النساء: ١٥١[3] [خامسًا :الاعتقاد الجازم لا يكفي وحده، فقد جزم فرعون بأن الآيات التي جاء بها موسى هي من عند الله :( وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ) [النمل: ١٤] وإبليس جازم بصدق الرسل والكتب، فلا بد من الاعتقاد الجازم من الرضا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا نبيًا، ولا بد من الإعلان عن ذلك باللسان، وتصديق ذلك بالعمل، أي: الإذعان والانقياد لله تبارك وتعالى، فما آمن من اعتقد ورفض الخضوع والطاعة لله تعالى كما هو حال الشيطان والمستكبرين

سادسًا :كل من أنكر شيئًا من أصول الاعتقاد أو فروعه المعلومة من الدين بالضرورة؛ فإنه كافر لا شك في كفره، أما الذي يترك عملًا من الأعمال الشرعية الواجبة، أو يفعل شيئًا مما حرم الله؛ فإنه يكون عاصيًا، والذين يكفرون بالذنوب والمعاصي هم الخوارج أما منهج

السلف الصالح: فإنه ترك الواجبات وفعل المحرمات يعد ذنبًا ومعصية، تشوه الإيمان وتنقصه، ولكنها لا تزيله وتذهبه

سابعًا: الأصول الاعتقادية التي أثبتتها النصوص ستة) :الله، الملائكة، الكتب، الرسل، الإيمان باليوم الآخر، القضاء والقدر، والنصوص الدالة على هذه الأصول كثيرة جدًا، سواء من الكتاب أم السنة، أما من الكتاب فمن ذلك:

-1قال تعالى :( لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ) ]البقرة: ١٧٧]

-2 قال تعالى :( آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) ]البقرة: ٢٨٥]

أما من السنة فحديث عمر بن الخطاب المشهور، وفيه أنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم؛ إذْ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا

**يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام، قال: الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فأخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبثت مليًا، ثم قال لي: يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ومن هاتين الآيتين وهذا الحديث يتبين لنا أن هناك أصولًا ستة للعقيدة الإسلامية هي أركان الإيمان:**

**الإيمان بالله الإيمان بالملائكة الإيمان بالكتب السماوية الإيمان بالرسل الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالقضاء والقدر**

**وسوف نتناول هذه الأصول بشيء من التفصيل فيما هو قادم إن شاء الله**

**تعريف و معنى تهويد في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي**

**١. تَهويد) :اسم)**

- **مصدر هَوَّدَ**
- **سَارَ تَهْويداً : سَارَ سَيْراً رُوَيْداً بَطِيئاً**
- **تَهْويدُ الحَادِي : تَرْجيعُهُ فِي الغِنَاءِ**
- **تَهْويدُ السَّاهِرِينَ : إِطْرابُهُمْ**
- **تَهويدُ الوَلَدِ : جَعْلُهُ عَلَى مِلَّةِ اليهُودِ**
- **التَّهْويدُ : هَدْهَدَةُ الريح في الرمل ولينُ صَوتها فيه**
- **تَهْويد القدس : عمليّة نزع الطابع الإسلاميّ والمسيحيّ عن القدس ، وفرض الطابع اليهوديّ عليها**

**٢. تهويد) :اسم)**

- **تهويد : مصدر هَوَّدَ**

**٣. التهويد) :اسم)**

- **صوت هَدْهَدة الريح في الرمل**

**٤. التهويد) :اسم)**

- صوت الإنسان المنخفض الضعيف ؛ صوت الريح تهدهد في الرمل بلين ؛ صوت الغناء المطرب اللين

٥. هَوَّدَ (:فعل)

- هوَّدَ يهوِّد ، تهويدًا ، فهو مُهوِّد ، والمفعول مُهوَّد ـ للمتعدِّي
- هَوَّدَ الرَّجُلُ فِي السَّيْرِ : مَشَى رُوَيْداً بَطِيئاً
- هَوَّدَ : غَنَّى
- هَوَّدَ السَّاهِرِينَ : أَطْرَبَهُمْ وَأَلْهَاهُمْ
- هَوَّدَ فلانٌ : صَات صوتًا ضعيفًا
- هَوَّد بالصَّوت : رجَّع به في لين
- هَوَّدَ الْوَلَدَ : حَثَّهُ عَلَى مِلَّةِ الْيَهُودِ ، حَوَّله إلى مِلَّة اليهود ، كُلُّ امْرئٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُمَجِّسَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُهَوِّدَانِه ( حديث(
- هَوَّدَ : سَكَنَ
- هَوَّدَ : نام
- هَوَّدَ : أكل الهَوْدَةَ
- هَوَّدَ الشَّرَابُ فلانًا : أسكره أو فتَّره فأنامَهُ

**يَهوديّة**

**تعريف و معنى تهويد في قاموس المعجم الوسيط ،اللغة العربية المعاصر قاموس عربي عربي**

**١. تهْويد القدس**

- **عمليّة نزع الطابع الإسلاميّ والمسيحيّ عن القدس ، وفرض الطابع اليهوديّ عليها**

**المعجم :عربي عامة**

**٢. تَهْويدٌ**

- **]هـ و د ] ( مصدر هَوَّدَ )**

**-: 1سَارَ تَهْويداً :- : سَارَ سَيْراً رُوَيْداً بَطِيئاً**

**-: 2تَهْويدُ الحَادِي :- : تَرْجيعُهُ فِي الغِنَاءِ**

**-: 3تَهْويدُ السَّاهِرينَ :- : إطْرابُهُمْ**

**-: 4تَهويدُ الوَلَدِ :- : جَعْلُهُ عَلَى مِلَّةِ اليهُودِ**

**المعجم :الغني**

**٣. تَهْويد**

- **تَهْويد -:**

**مصدر هوَّدَ**

•تَهْويد القدس : عمليّة نزع الطابع الإسلاميّ والمسيحيّ عن القدس ، وفرض الطابع اليهوديّ عليها

المعجم :اللغة العربية المعاصر

٤. تهويد

- تهويد

- 1مصدر هود ٢ - لين صوت الريح في الرمل ٣ - صوت لين ضعيف الفاتر

المعجم :الرائد

٥. التَّهْويدُ

- التَّهْويدُ : هَدْهَدَةُ الريح في الرمل ولينُ صَوتها فيه

المعجم :المعجم الوسيط

٦. التهويد

- صوت الإنسان المنخفض الضعيف

المعجم :معجم الاصوات

٧. التهويد

- صوت الريح تهدهد في الرمل بلين

**المعجم :معجم الاصوات**

**٨. التهويد**

- **صوت الغناء المطرب اللين**

**المعجم :معجم الاصوات**

**٩. التهويد**

- **صوت هَدْهَدة الريح في الرمل**

**المعجم :معجم الاصوات**

- **1حوَّله إلى دين اليهود :- كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ [ حديث ]**
  **- 2طرَّبه وألهاه :- هوَّدت الأمُّ طفلَها**
  **•هوَّده الشَّرابُ : أسكرهُ فأنامه**

**المعجم :اللغة العربية المعاصر**

**١٠. هود**

- **الهَوْدُ : التَّوْبَةُ ، هادَ يَهُودُ هوْداً وتَهَوَّد : تابَ ورجع إلى الحق ، فهو هائدٌ**

**وقومٌ هُودٌ : مِثْلُ حائِكٍ وحُوكٍ وبازِلٍ وبُزْلٍ ؛ قال أعرابي : إِنِّي امرُؤٌ**

مِنْ مَدْحِهِ هائِد وفي التنزيل العزيز : إِنَّا هُدْنا إليك ؛ أي تُبْنا إليك ، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم

قال ابن سيده : عدّاه بإلى لأَن فيه معنى رجعنا ، وقيل : معناه تبنا إليك ورجعنا وقرُبْنا من المغفرة ؛ وكذلك قوله تعالى : فتُوبوا إِلى بارئِكم ؛ وقال تعالى : إِن الذين آمنوا وا

المعجم :لسان العرب

أمثلة سياقية: تهويد

تَهوْيدٌ عَلَى رُيُودٍ) أمثال)

يُجاوبُ البومَ تَهْويدُ العَزيفِ بِهِ كَمَا يَحِنُّ لِغَيْثٍ جِلَّةٌ خُورُ) شعر)

سَيْراً يُراخِي مُنَّةَ الجَلِيدِ ذا قَحَمٍ وَلَيْسَ بالتَّهْويدِ) شعر)

تهويد القدس هي المحاولات المستمرة من قبل إسرائيل ومن قبل جيش الاحتلال من أجل نزع الهوية العربية الإسلامية التاريخية من مدينة القدس وفرض طابع مستحدث جديد وهو الطابع اليهودي

- ١وسائل تهويد القدس
  - ١١الاستيطان ومصادرة الأراضي

- ١٢تهجير الفلسطينيين وسحب الهويات منهم
- ١٣المساندة الدولية الموقف الأمريكي نموذجا
- ١٤إصدار القوانين
  - ١٤١قانون التنظيم والتخطيط
- ١٥الانتهاكات الإسرائيلية بحق المسجد الأقصى خلال يناير ٢٠١٦

**وسائل تهويد القدس**

**منذ أن قامت إسرائيل باحتلال مدينة القدس عام ١٩٦٧، وهي تعمل جاهدة للسيطرة عليها وتغيير معالمها بهدف تهويدها وإنهاء الوجود العربي فيها، وقد استخدمت لأجل ذلك الكثير من الوسائل وقامت بالعديد من الإجراءات ضد المدينة وسكانها، حيث كان الاستيطان في المدينة وفي الأراضي التابعة لها أحد أهم الوسائل لتحقيق هدف اليهود الأساسي تجاه مدينة القدس**

**الاستيطان ومصادرة الأراضي**

**سعت إسرائيل خلال العقود الماضية إلى استكمال مخططه الاستيطاني الهادف للسيطرة الكاملة على مدينة القدس، حيث عمل على تحقيق ذلك من خلال توسيع ما يسمى بحدود القدس شرقا وشمالا، وذلك بضم**

مستوطنة معاليه أدوميم التي يقطنها حوالي ٢٠ ألف نسمة، كمستوطنة رئيسية من الشرق، إضافة إلى المستوطنات العسكرية الصغيرة مثل عنتوت، ميشور، أدوميم، كدار، كفعات بنيامين من الجهة الشرقية، وكخاف يعقوب،كفعات زئييف، كفعات حدشا، كفعات هاردار من الشمال مما أدى إلى مضاعفة عدد المستوطنين وفي نفس الوقت قللت نسبة السكان العرب الفلسطينيين الذين يشكلون ثلث سكان القدس أي حوالي ٢٢٠ ألف نسمة بما فيها الجزء المضموم ٣٨٠ ألف نسمة، مع العلم أن عدد المستوطنين في القدس الشرقية يساوي عدد المستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة (١٨٠ ألف مستوطن) ومن الجدير ذكره أن عدد المستوطنات في القدس حسب إحصائيات مركز أبحاث الأراضي ٢٩ مستوطنة، ١٤ منها في الجزء المضموم من القدس أي ما يسمى حدود القدس الشرقية، وتنتشر هذه المستوطنات في لواء القدس على شكل تجمعات استيطانية مكثفة تتخذ الشكل الدائري حول المدينة وضواحيها ممثلة بمراكز استيطانية كبيرة المساحة ويشار أيضا إلى أن حدود البلدية (القدس الغربية) تم بشكل رسمي توسيعها ولكنة عمليا تم الاستيلاء على ٧٢ كم مربعا بقرارات مختلفة وبتقييد التمدد العمراني في القدس وتحويل المناطق إلى مستوطنات يهودية كما حدث مع جبل أبو غنيم

**الآثار المترتبة على الاستيطان اليهودي في القدس وضواحيها: لا شك في أن لعملية الاستيطان اليهودية في القدس وضواحيها آثار كبيرة على السكان الفلسطينيين يمكن إجمال هذه الآثار بالنقاط التالية:**

**١. مصادرة آلاف الدونمات من الأراضي التابعة للقرى التي أقيمت عليها المستوطنات**

**٢. تطويق التجمعات السكنية الفلسطينية والحد من توسعها**

**٣. تهديد بعض التجمعات السكانية الفلسطينية بالإزالة**

**٤. إبقاء فلسطيني القدس وضواحيها العزل في حالة خوف ورعب دائمين، من خلال الاعتداءات المتكررة عليهم من قبل المستوطنين المدججين بالسلاح**

**٥. عزل مدينة القدس وضواحيها عن محيطها الفلسطيني في الشمال والجنوب**

**٦. فصل شمال الضفة عن جنوبها، والتحكم في حركة الفلسطينيين بين شمال الضفة الغربية وجنوبها**

**٧. قطع لتواصل الجغرافي بين أنحاء الضفة الغربية وتقسيمها إلى بقع متناثرة والحيلولة بالتالي دون إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة**

**٨. تشويه النمط العمراني الرائع للقدس العتيقة والقرى الفلسطينية المحيطة**

**٩. هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم مكانه**

**تهجير الفلسطينيين وسحب الهويات منهم[عدل]**

**تعتبر سياسة تهجير الفلسطينيين من مدينة القدس أحد الوسائل المعتمدة لدى دولة الاحتلال الإسرائيلي من أجل خلق واقع جديد يكون فيه اليهود النسبة الغالبة في مدينة القدس، وقد وضعت الحكومات المتعاقبة لدولة الاحتلال مخططات من أجل ذلك، نتبين ذلك من خلال :**

- **التصريحات التي أعلنها رئيس الوزراء (أرئيل شارون) بمناسبة الذكرى الثامنة والثلاثين لاحتلال القدس الشرقية، والتي واصل فيها أكاذيبة بالإعلان عن أن القدس ملك لإسرائيل وأنها لن تكون بعد اليوم ملكا للأجانب**
- **ما أعلنه شيمون بيرز بضرورة التهجير الجماعي للفلسطينيين من مدينة القدس والذين يقدر عددهم بنحو ٢٤٠ ألف مواطن**
- **بيان صادر عن مجلس وزراء دولة الاحتلال بعنوان خطة تنمية القدس تضم تنفيذ مخطط استيطاني جديد يشمل هدم ٦٨ مسكنا**

فلسطينيا وتشريد ٢٠٠ عائلة من سكانها بحي البستان في بلدة سلوان

- كما يشمل تنشيط المنظمات اليهودية المتطرفة لجذب أموال اليهود الأمريكيين من الأثرياء لشراء ممتلكات في القدس في صفقات مشبوهة
- مشروع قرار مجلس الشيوخ الأمريكي الذي يشترط الاعتراف بمدينة القدس عاصمة موحدة لإسرائيل مقابل الاعتراف بالدولة الفلسطينية مستقبلا، بهذه الإجراءات تحاول دولة إسرائيل باستماتة فرض الأمر الواقع على الأرض، وإدخال قضية القدس هذه المرحلة الخطيرة، كما تشكل هذه الإجراءات انتهاكا صارخا للقرارات والقوانين الشرعية الدولية، حيث ينص قرار مجلس الأمن ٢٤٢ على أن القدس الشرقية والضفة الغربية والقطاع، ضمن الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧
- مما يقتضي عودة إسرائيل إلى حدودها، وهو ما شملته أيضا رؤية بوش وخريطة الطريق والمبادرة العربية

كما عملت حكومات الاحتلال الإسرائيلي المتعاقبة على تنفيذ توصية اللجنة الوزارية لشؤون القدس لعام ١٩٧٣ برئاسة جولدا مائير

**التي تقضي بأن لا يتجاوز عدد السكان الفلسطينيون في القدس ٢٢% من المجموع العام للسكان، لذلك فقد لجأت سلطات الاحتلال إلى استخدام الكثير من الأساليب لتنفيذ هذه الوصية والتي كان آخرها سحب الهويات من السكان العرب في القدس**

- **المساندة الدولية الموقف الأمريكى نموذجا[عدل]**

**في إطار الدعم الأمريكي لدولة الاحتلال الإسرائيلي، يحاول الأمريكان جاهدين فرض سياسة الأمر الواقع على مدينة القدس كعاصمة موحدة لدولة الكيان الإسرائيلي ويتبين ذلك من خلال جملة من الخطوات التي تم اتخاذها أهمها:**

**١ـ نجحت لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية إيباك، إحدى جماعات الضغط الإسرائيلية في الولايات المتحدة في دفع أحد رجال الكونغرس إلى تقديم مسودة مشروع قرار يطالب بالاعتراف بالقدس كعاصمة لإسرائيل لا تقبل التقسيم**

**٢ـيشمل مشروع القانون الذي تقدم به السيناتور بروادنباك في ٢٠٠٥/٤/١٩ الآتي:**

**أ- يجري تداول مشروع في مجلس الشيوخ والكونغرس يدعو للاعتراف بالقدس كعاصمة غير مقسمة لإسرائيل قبل ١٨٠ يوما من اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية**

**ب- تشريع مشترك:**

**من أجل توفير الاعتراف بالقدس كعاصمة غير مقسمة لإسرائيل قبل اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية ولغايات أخرى، فإن مجلس الشيوخ(الكونغرس) الأمريكي يقرر:**

**الجزء الأول**

**هذا التشريع المشترك يمكن تسميته بتشريع القدس**

**الجزء الثاني**

**توصل الكونغرس إلى النتائج المغلوطة التالية:**

**١. لقد كانت القدس عاصمة الشعب اليهودي لأكثر من ٣ آلاف عام**

**٢. لم تكن القدس أبدا عاصمة لأي دولة أخرى غير الشعب اليهودي**

**٣. القدس مركزية لليهودية وقد ذكرت في التوراة أنجيل اليهود – ٧٦٦ مرة**

**٤. لم تذكر بالاسم في القرآن**

٥. القدس هي مقر الحكومة الإسرائيلية بما فيها الرئيس والبرلمان والمحكمة العليا

٦. ينص قانون الولايات المتحدة الأمريكية على أن سياسة الولايات المتحدة هي أن القدس يجب أن تكون العاصمة غير المقسمة لإسرائيل

٧. لكل دولة سيادية الحق في تحديد عاصمتها

٨. إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي لا تقيم فيها الولايات المتحدة سفارة في المدينة المعلنة كعاصمة ولا تعترف بالمدينة كعاصمة

٩. يجب السماح لمواطني إسرائيل بحرية العبادة طبقا لتقاليدهم

١٠. تدعم إسرائيل الحرية الدينية لجميع المعتقدات

١١. يعبر نقل السفارة الأمريكية في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس عن دعم الولايات المتحدة المتواصل لإسرائيل وللقدس غير المقسمة

الجزء الثالث

يتم نقل موقع سفارة الولايات المتحدة في إسرائيل من تل أبيب إلى القدس في مدة لا تزيد عن ١٨٠ يوما قبل الاعتراف بالدولة الفلسطينية

الجزء الرابع

**الاعتراف بالقدس غير المقسمة عاصمة لإسرائيل لن تعترف الولايات المتحدة بالدولة الفلسطينية حتى قيام المجتمع الدولي بحل وضع القدس بالاعتراف بالمدينة على أنها العاصمة غير المقسمة لإسرائيل**

**الجزء الخامس**

**موقف الكونغرس من حرية العبادة يتمثل موقف الكونغرس في وجوب السماح لمواطني (إسرائيل) كحق أساسي من حقوق الإنسان المعترف بها من الولايات المتحدة، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ الصادر في٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بالعبادة بحرية وطبقا لتقاليدهم**

- إصدار القوانين[عدل]

**قانون التنظيم**

**والتخطيط[عدل]**

**كان من الأساليب المبتكرة لسلطات الاحتلال من أجل تهويد مدينة القدس إصدار ما يسمى بقانون التنظيم والتخطيط، الذي انبثق عنه مجموعة من الخطوات الإدارية والقانونية المعقدة والتعجيزية في مجالات الترخيص والبناء، بحيث أدى ذلك إلى تحويل ما يزيد على ٤٠% من مساحة القدس إلى مناطق خضراء يمنع البناء للفلسطينيين عليها، وتستخدم كاحتياط لبناء المستوطنات كما حدث في جبل أبو غنيم، وقد دفعت هذه**

**الإجراءات إلى هجرة سكانية عربية من القدس إلى الأحياء المحيطة بالمدينة نظرا إلى سهولة البناء والتكاليف**

**وفي العام ١٩٩٣ بدأت مرحلة أخرى من تهويد القدس، وهي عبارة عن رسم حدود جديدة للمدينة (القدس الكبرى) المتروبوليتان، وتشمل أراضي تبلغ مساحتها ٦٠٠ كم٢ أو ما يعادل ١٠% من مساحة الضفة الغربية لتبدأ حلقة جديدة من إقامة مستوطنات خارج حدود المدينة هدفها الأساسي هو التواصل الإقليمي والجغرافي بين تلك المستوطنات لإحكام السيطرة الكاملة على مدينة القدس**

**قانون منع الأذان عبر مكبرات الصوت**

**في شهر نوفمبر ٢٠١٦، أقرت لجنة وزارية إسرائيلية خاصة مشروع قانون لمنع رفع الأذان عبر مكبرات الصوت في مساجد القدس والمناطق القريبة من المستوطنات وداخل الخط الأخضر[١٤] بعد المصادقة على القرار، قامت السلطات الإسرائيلية باقتحام عدة مساجد في مدينة القدس ومنعت المؤذنين من رفع الأذان عبر مكبرات الصوت وبحسب إحصاءات تقديرية، فإن الحظر سيطال نحو ٦٠٠ مسجد في مناطق القدس والخط الأخضر[١٥]**

- الانتهاكات الإسرائيلية بحق المسجد الأقصى خلال يناير ٢٠١٦ [عدل]

- ٢٠١٦/١/٣ مجموعات من المستوطنين تقتحم المسجد الأقصي من باب المغاربة بحراسة معززة ومشددة من عناصر الوحدات الخاصة والتدخل السريع في شرطة الاحتلال
- ٢٠١٦/١/٤ اقتحام المسجد الأقصي من قبل المستوطنين من جهة باب المغاربة وسط حماية معززة ومشددة من قوات الاحتلال الإسرائيلي الخاصة
- ٢٠١٦/١/٥ قوات الاحتلال تعتدي على رئيس حراس المسجد وبعض الحراس في منطقة باب الرحمة المعروفة باسم 'الحُرش' بالضرب، التي تقع بين باب الأسباط والمُصلى المرواني
- ٢٠١٦/١/٦ المسجد الاقصى المبارك يشهد، اقتحامات جديدة لعصابات المستوطنين بحراساتٍ معززة ومشددة من عناصر الوحدات الخاصة والتدخل السريع بشرطة الاحتلال
- ٢٠١٦/١/١٢ المصلون وحراس المسجد الاقصى يتصدون لمستوطن يهودي أدى طقوساً وشعائر تلمودية في المسجد الاقصى المبارك[٦]